١

كتاب اخلاق الملوك

الجزء
في امور الرياسة

تصنيف ابي عثمان عمرو بن بحر

المشهور بالجاحظ تغمده الله

بغفرانه ورضوانه

٣٨٢٧

وقف هذه النسخة سلطانها الاعظم والحسام المعظم
مالك البر والبحر خادم الحرمين الشريفين السلطان السلطان
الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا جاريا العصر
احمد سبع راده المقص وقاي حرمين
الشريفين عفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت واليه انيب

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة
والاولى وهو الحكيم الخبير احمده على تتابع الآئه وترادف
منه واستمديه واستوفقه لما يرضيه ويزلفه واشهد ان
لآ اله الا هو الذي له شبه له ولا نظير الذي عز الاجزاء والتبعيض
والتحديد والتمثيل والحركة والسكون والنقلة والزوال والتصرف
من حال الى حال لا اله الا هو الكبير المتعال واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وامنه ونجيبه ابتعثه على فترة من الرسالة وطموس
من الهداية ودروس من شرائع الانبآء والمرسلين لينذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين والعرب تأدلادما ويتسافكون
دماءها ويتناوحون اموالها وتعبد اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى فصدع بامر ربه وجاهد في سبيله ودعا الى معالم
دينه وجاء بما عجزت الانس والجن ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيرا فصلى الله عليه وعلى جميع المرسلين وخصه بصلوة من نوافله دون
العالمين وعليه السلام ورحمة الله وبركاته اما بعد فان الذي
حدانا على وضع كتابنا هذا معان منها ان الله عز وجل لما خص
الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومكن لهم في بلاده وخولهم عباده
اوجب على علمآئهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم وتفريظهم كما اوجب
عليهم طاعتهم والخضوع لهم فقال وهو الذي جعلكم خلائف
الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال واطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اكثر العامة وبعض
الخاصة يجهل الاقسام التي تجب للملوك عليها وان كانت متمسكة
بجملة الطاعة فحصرنا آدابها في كتابنا هذا ليتحراها قدوة لها واماما
لتأديتها وايضا فان لنا في ذلك اجرين اما احدهما فلما بيناه عليه
العامة من معرفة حق ملوكها واما الآخر فلما يجب من حق الملوك
علينا من تقويم كل ما آل ورد كل نافر اليها ومنها ان سعادة العامة

في تبجيل الملوك وطاعتها كما قال اردشير بن بابك سعادة الرعية
في طاعة الملوك وسعادة الملوك في طاعة الممالك ومنها ان الملوك الملاك
هم الاساس والرعية هم البناء وما لا اساس له مهدوم ومنها ايام
انا الفنا كنا باقبل هذا فيه اخلاق الفتيان وفضائل اهل البطالة
وكان غير ذلك اولى بنا واحق في طبعنا واحرى ان نصرف عنايتنا اليها الشجاعة
والى ما يجب للملوك من ذكر اخلاقها وشيمها اذ فضلها الله على العالمين
وجعل ذكرها في الباقين الى يوم الدين الا ترا حين ذكر
الامم السالفة والقرون الخالية لم يقصد من ذكرها الى وضيع ولا
خامل بل قال عز من قائل حاكيا عن مضى من الامم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا فاضلونا
السبيلا وقال واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
وقال الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك وقال
وقال موسى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيآء وجعلكم ملوكا
واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ان الملوك اذا دخلوا

قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وقال قل اللهم مالك
الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء وتعز من تشآء و
تذل من تشآء بيدك الخير انك على كل شيء قدير وقد بعث الله
موسى الى اعتى خلقه واشدهم عتوا وهرون فاعزاره فقال اذهبا
الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليفهم
الحكماء هذه الاعجوبة التي فضلت عن الله تبارك وتعالى فان فيها
حكمة عجيبة وموعظة بليغة وشيمة لمن كان له قلب حدثنا اصحابنا
عن مقرام عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله فقولا له قولا لينا قال
كنيا ه وانما امرهم بذلك لان الملوك وان عصى اكثرها فمن حقها ان
تدعى الى الله باسهل القول واليق اللفظ واحسن المخاطبة فاذا كان
هذا حكم الله في العاصي من الملوك والذين ادعوا الربوبية وجحدوا
بالآيات وعاندوا الرسل فما ظنك بمن اطاع الله منها وحفظ شرائعه
وقلد مقام انبيآئه وجعله الحجة بعد حجته وفرض طاعته حتى قرنها

بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فرأينا اذا اخطأنا في
تقديمنا اهل البطالة وان كان فيها بعض الآداب وما نحتاج اليه
اهل الشرف من محاسن الاخلاق ان نتلافى ما فرط منا بوضع كتاب
اخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها في انفسها وان نخصّ بوضع
كتابنا هذا الامير ابا الفتح بن خاقان مولى امير المومنين اذ كان
بالحكمة مشغوفا وعلى طلبها مثابرا وفيها وفي اهلها راغبا ليبقى له ذكر
وتحيي به اسمه ما بقي الضياء والظلام وبالله التوفيق ك

وبعد فان اكثر كلامنا في هذا الكتاب انما هو على مزدوج الملك
الاعظم اذ لم يكن في استطاعتنا ان نصف اخلاقه بل نعجز عن نهاية
ما تجب له لو رمنا شرحها وايضا فان من تكلف ذلك بعدنا من
الناس بأقصى تكلف واغوره ذهن واحدّ فكر فلعله ان يعتذر بمثل
اعتذارنا وليس لاخلاق الملك الاعظم نهاية تقوم في وهم ولا تحيط
بها فكر وانت تراها تتزيد مذ اوّل ملك ملك الدنيا الى هذه

الغاية ومن ظنّ انه يبلغ اقصى هذا المدى فهو عندنا كما قال
بالتشبيه مثلا وبالجسم معارضة ولعل قائلا يقول اذا رأى آنا
قد حكينا في كتابنا هذا بعض اخلاق الملوك المامنين من آل ساسان
وملوك العرب قد ناقض واضع هذا الكتاب اذ زعم انه ليس لاخلاق
الملك الاعظم نهاية فيظلم في اللفظ ويعتدي في المقال واولئك
الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الاعلى انت
تجد ذلك عيانا ونشهد عليك بيانا وعلى لزوم هذه المقالة لا يقولها
من نظر في سير من مضى وسير من شاهد وبالله التوفيق ك

في الدخول على الملك وما يجب على الملك اذا دخل الرجل عليه

فان كان الداخل من الاشراف والطبقة العالية فمن حق الملك ان يقف
منه في الموضع الذي لا يناى عنه ولا يقرب منه وان يسلم عليه قائما
فان استدناه قرب منه فكب على اطراف يقبّلها ثم يتنحى عنه قائما
حتى يقف في مرتبة مثله فان اومأ اليه بالقعود قعد فان كلمه اجابه

بالخفاض صوت وقلة حركة وان سكت نهض من ساعته قبل ان يتكلم
به مجلسه بغير تسليم ولا انتظار امر وان كان الداخل من الطبقة
الوسطى فمن حق الملك اذا رآه ان يقف وان كان نائيا عنه فان استدنا
دنا خطا ثلثا او نحوها ثم وقف ايضا فان استدناه دنا نحوا من دنوه
الاول ولا ينظر الى لفت الملك في اثناء ولا تحريك جارحة فان
ذلك وان كان فيه على الملك معاناة فهو من حقه وتعظيمه وان كان
دخوله عليه من الباب الاول يقابل وجه الملك وتحاذيه وكان له
طريق عن يمينه او شماله عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه
ثم انحرف عن مجلس الملك فسلم قائما ملاحظا للملك فان سكت عنه انصرف عنه
راجعا من غير سلام ولا كلام وان استدناه دنا خطا وهو مطرق ثم
رفع راسه فان استدناه دنا خطا ايضا ثم رفع راسه اليه حتى اذا امسك
الملك عن اشارة او حركة وقف في ذلك الموضع الذي يقطع فيه الملك
اشارته قائما فان اومى اليه بالقعود تعد مقعيا او جاثيا فان كلمه

اجابه بالخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع فاذا قطع الملك كلامه
قام فرجع القهقرى فان امكنه ان يستتر عنه بجدار او مسلك لا يحاذيه
اذا ولى مشى كيف شاء وعلى الملك اذا دخل عليه من يساويه في
السلطان والتبع والعز والولادة والبيت ان يقوم فيخطوا اليه خطا
ويعانقه ويأخذ بيده ويقعد في مجلسه ويجلس دونه لان هذا من
حال يحتاج الملك الى مثلها من الداخل عليه اذا رآه فان خشه حظه
ومنعه ما يجب له لم يأمن الملك ان يفعل به مثل ذلك ومتى فعل كل واحد
منهما بصاحبه ما هو خارج من النواميس والشريعة تولد من ذلك
فساد وحرك له ضغائن بين الملوك يتبع بعضهما التباغض والتعادي
والتحاسد واذا اجتمع ذلك في المملكة كان سببا للبوار وداعيا الى التخارب
وعلى الملك اذا راى هذا الذي قد مناصفته الانصراف ان يقوم معه
اذا قام ويدعوا بدابته ليركب حيث يراه ويشيعه ماشيا قبل ركوبه
خطا يسيرة ويامر خدمه بالسعي بين يديه وعلى هذا كانت اخلاق

آل ساسان من الملوك وابنائهم وبهذه السياسة اخذهم اردشير
فلم يزل فيهم حتى ملك ابرويز فغيرها فكان فيما اعتد عليه ابنه شيرويه
في ذكر مثالبه ومعايبه وقد قلنا ان من حق الملك الا يطيل احد عنده
القعود فان اخطأ مخطئ في ذلك فمن اذن له الملك بالانصراف فان يلحظه
فاذا عرف ذلك فلم يقم كان ممن يحتاج الى ادب وكان الذي اوصله بالملك
ظالما له ولنفسه

في مطاعمة الملك

ومن حق الملك اذا تبذل بين يدي احد او انس به من مطاعمة الا ينبسط
به في مطعمه بين يديه فان في ذلك خلالا مذمومة منها ان
انبساطه يدل على شرهه ومنها ان في ذلك سوء ادب وقلة
تمييز ومنها ان فيه جرأة على الملك ببسط اليد ومدها وكزة
الحركة وليس في كزة الاكل مع الملك معنى نحمد الا ان يكون الاكل كميسرة
التراس وحفص الكيال الذين انما يحضرون لكزة الاكل فقط
فاما اهل الادب والمروة فانما حظهم من مآدب الملك المرتبة التي

رفعتهم اليها والانس الذي خصهم به قال وحدثني ابرهيم بن
السندي عن ابيه قال دخل شاب من بني هاشم على المنصور فاستجلسه
ذات يوم ودعا بغدائه وقال للفتى ادنه فقال الفتى قد تغديت
فكف عنه الربيع حتى ظننت انه لم يفطن لخطائه فلما نهض للخروج
امهله فلما كان في وزراء الستر دفع في قفاه فلما راى الحجاب ذلك
منه دفعوا في قفاه حتى اخرجوه من الدار فدخل رجال من عمومة
الفتى فشكوا الربيع الى المنصور فقال المنصور ان الربيع لا يقدم على مثل
هذا الا وفي يده حجة فان شئتم اغضيتم على ما فيها وان شئتم سألته
وانتم تسمعون قالوا فسله فدعا الربيع وقصوا قصته فقال الربيع هذا
الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف فاستدناه امير المؤمنين حتى سلم
عليه من قرب ثم امره بالجلوس ثم تبذل بفضيلة المرتبة التي صيره
فيها ان قال حين دعاه الى طعامه قد فعلت واذا ليس عندك لمن اكل
مع امير المؤمنين الا سد خلة الجوع ومثل هذا لا يقوم القول دون الفعل

قال وحدثني احمد بن عبد الرحمن الحراني قال كنت احضر مائدة اسحق بن
ابرهيم انا وهشام بن اخي الابرد والنادري فكنا عدد على مائدته
ثلثين طيرا فاما الحلو والحامض والحار والبارد فاكثر من ان احصيه
فلا ادري من ذلك كله الا بمقدار ما ياكل الطائر انما يكسر الخبز باظفاره
قلت فما كان يمنعكم قال لا ولو فعلنا ما فعلنا قال فما هو الا ان يتواري
عن عينه حتى ينتهب وكذا يجب للملوك الا يشرع احد الى طعامهم
ولا يكون غرضه ان يملأ بطنه وينصرف الى رحله الا ان يكون الاكل
اخا الملك او ابنه او عمه او ابن عمه او من اشبه هؤلاء ولا يكون ايضا الا
من يقيم بعد الاكل ويطيل المنادمة ويجعل ما ياكل غذاء يومه وليلته
اذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء وكانت ملوك الاعاجم اذا رات
رجلا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والتهم اخرجوه من طبقة
الجد الى طبقة الهزل ومن باب التعظيم الى باب الاحتقار والتصغير
والملك وان بسط الرجل لطعامه فمن حقه على نفسه وحق الملك عليه

الا يترك استعمال الادب ولا يميل الى ما تهوي طبيعته فانه من عرف
بالشره لم تجب له اسم الادب ومن عرف بالتهم زال عنه اسم التمييز
واذا وضع الملك بين يدي احد طعاما فليعلم ذلك الرجل انه
لم يضعه بين يديه ليأتي عليه بل لعله ان كان لم يقصد بذلك الى اكرامه
او موانسته ان يكون اراد ان يعرف ضبطه نفسه اذا رأى ما يشتهي
من بسطه لها ويجب على الرجل اذا تحفه الملك بتحفة على مائدته ان
يضع يده عليها فان ذلك تجربه ويزيد في ادابه الا يرى ان معوية
حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقلبها نظر اليه فقال
معوية هل كان بينك وبين ابيه عداوة فقال له الحسن هل كان بينك
وبين امه قرابة وان كان هذا الكلام الذي دار بينهما قد قرح في
قلب كل واحد منهما وان معوية لم يقل هذا القول لانه كان يعظم عليه قدر
الدجاجة وكيف يكون ذلك وهو يكتب الى اطرافه وعماله والى زياد بالعراق
باطعام السائلة وذوي الحاجة ولهم في كل يوم اربعين مائدة تقسمها

وجوه جند الشام ولكن علم انّ من حق الملك توقير مجلسه وتعظيمه
وليس من التوقير والتعظيم مدّ اليد واظهار الفم وشدّة النهم
وطلب الشبع بين يدي الملوك وتخضرتها وعلى هذا كانت ملوك
الاعاجم من لدن اردشير الى يزدجرد ويقال انّ سابور ذا
الاكتاف لمّا مات موبذ موبذان وصف له رجل من كورة اصطخر
يصلح لقضاء القضاة في العلم والتأله والامانة فوجّه اليه فلمّا قدم دخل
عليه ودعا بالطعام ودعاه اليه فدنا فاكل معه فاخذ سابور دجاجة
فنصفها ووضع نصفها بين يديه ثمّ اومى اليه انّ كل من هذا فانه أقرأ
لطعامك واخفّ على معدتك واقبل سابور على النصف كما كان ياكل فرغ
الرجل من النصف قبل فراغ سابور ثمّ مدّ يده الى طعام آخر وسابور
يلحظه فلمّا رفعت المائدة الا ان يغسل او يحدّد ومن حق
الملك الّا يحدّث على طعامه بحديث جدّ ولا هزل وان ابتدأ احدث فليس من
حقه ان يعارض عليه وليس فيه اكثر من الاستماع لحديثه والابصار

خاشعة ولشيء ما كان ملوك آل ساسان اذا قدّمت موائدهم تزمروا
عليها فلم ينطق ناطق بحرف حتّى يرفع فان اضطرّوا الى كلام كان
مكانه اشارة وانما يدلّ على العرض الذي اراد والمعنى الذي قصدوا
انهم كانوا يقولون انّ هذه الاطعمة بها حياة هذا العالم فينبغي للانسان
ان يجعل ذهنه في مطعمه ويشغل روحه وجوارحه فيه لان يأخذ كل
جارحة بقسطها من الطعام فيغتذي بها البدن والروح الحيوانية
التي في القلب والطبيعية التي في الكبد اغتذاءً تامًّا ويقبله الطبيعة
قبولا جامعا وفي ترك الكلام فضائل كثيرة مع في آيتهم تركنا ذكرها
اذ كانت ليس من جنس كتابنا هذا واحدثني بعض المحدثين
قال قال بعض الامراء واظنّه بلال بن ابي بردة لابي نوفل الجارود بن
ابي سبرة ماذا تصنعون عند عبد الاعلى اذا كنتم عنده قال فشاهدنا
احسن حديث واحسن استماع قال ثمّ يأتي الطبّاخ فيمثّل بين عينيه
فيقول ما عندك فيقول عندي لون كذا ودجاجة كذا ومن الحلوى كذا قال

ولم يسئل عن ذلك قال لعقصر كل رجل عما لا يشتهيه حتى يأتيه بما يشتهي
قال ثم يوتى بالخوان فيتضايق ويتسع ويقصر ويتخمد فاذا استغنى
حوى بحويه الظليم ثم اكل اكل الجائع المغرور قال والجارود
هو الذي قال سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ٥

في المنادمة ومن اخلاق الملك ان يجعل ندماءه طبقات
ومراتب ويعم ويقرب ويباعد ويرفع ويضع اذا كانوا على اقسام وادوات
فانا قد نرى الملك يحتاج الى الوضيع للفهم كما يحتاج الى الشجاع لباسه
ويحتاج الى المضحك لحكايته كما يحتاج الى الناسك لعظته ويحتاج الى
اهل الهزل كما يحتاج الى اهل الجد والنبل ويحتاج الى الزامر المطرب
كما يحتاج الى العالم المفتي وهذه اخلاق الملوك ان يحضرهم كل طبقة
اذا كانوا يتصرفون فرحال جد الى حال هزل ومن ضحك الى تذكير ومن
لهو الى عظة فكل طبقة من هذه الطبقات ترفع مرة وتحط اخرى
وتعطى مرة وتحرم اخرى خلا الاشراف والعلماء فان الذي يجب لهم

رفعة المرتبة واعطاء القسط من المرتبة والنصفة عند المعاشرة
ما لزموا الطاعة ورعوا حقها وليس من حق الملك ان يبرح احد
من مجلسه الا لقضاء حاجة فان اراد ذلك فمن الواجب ان يلاحظه فان
سكت الملك قام بين يديه ابدا وان طال ذلك حتى يومي اليه بالقعود فاذا
قعد فقعيا اوجاثيا فان نظر اليه بعد قعوده فهو اذنه له بالتمكين في
قعوده وليس له ان يختار كيف يشرب انما ذلك الى الملك الا ان مرحقه
على الملك ان يامره بالعدل عليه والنصفة له ولا يجاوز به حد طاقته
ولا وسع استطاعته فيخرج به من ميزان القسط وحد القصد لانه
لا يامن من ان يتلف نفسا وهو يجد الى احيائها سبيلا ومن اخلاق
الملك السعيد ان يحرص على احياء بطانته حرصه على احياء نفسه اذ كان
بهم نظامه واذ قد انتهينا الى هذا القول فنا حاجة الى الاخبار
عن مراتب الطبقات الثلث من الندماء والمغنين وان كانت مراتبهم
في كتاب الاغاني محصورة فقد يجب ذكرها في هذا الموضع ايضا لانها

داخلة في اخلاق الملوك ولنبدأ بملوك الاعاجم اذ كانوا
هم الاول في ذلك وعنهم اخذنا آيين المملكة وترتيب الخاصة والعامة
وسياسة الرعية والزام كل طبقة حظها والاقتصار على جديلتها
شاكلتها ٢
كان اردشير اول من رتب الندماء واخذ بزمام سياستهم فجعلهم
ثلث طبقات وكانت الاساورة وابناء الملوك في الطبقة الاولى
وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة اذرع وهم بطانة
الملك وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم ثم الطبقة الثالثة
وكان مجلسهم من الثانية على عشرة اذرع وهم المضحكون واهل البطالة
غير انه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيعه
ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مأوف ولا مرمي بابنة
ولا مجهول الابوين ولا ابن صناعة دنية كابن حائك او حجام ولو كان
يعلم الغيب مثلا وكان اردشير يقول ما شيء اضر على نفس ملك
من معاشرة سخيف او مخاطبة وضيع لانه كما ان النفس تصلح على مخاطبة

الشريف الاديب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الدني السخيف
حتى تقدح ذلك فيها فتزيلها عن فضيلتها وكما ان الريح اذا مرت بالطيب
حملت طيبا يحيا به النفوس وتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت
بالنتن فحملته أمثاله النفوس واضر باعلاقها اضرارا تاما وكذلك
جعل الناس على اقسام اربعة وخص كل طبقة على قسمتها فالاول
الاساورة من ابناء الملوك والقسم الثاني النساك وسدنة خدمة ٢
بيوت النيران والقسم الثالث الاطباء والكتاب والمنجمون
الرابع ٥ والقسم ٦ الزراع والمهان وكان اردشير يقول ما شيء اسرع
في انتقال الدول وخراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها
حتى يرفع الوضيع الى مرتبة الشريف وتحط الشريف الى مرتبة الوضيع
وكان الذي يقابل الطبقة الاولى من الاساورة وابناء الملوك
اهل الحذاقة بالموسيقيات والاغاني وكانوا بازائها نصب خط الاستواء
وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك وبطانته الطبقة

الثانية من اصحاب الموسيقيات وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة
من اصحاب الفكاهات والمضحكين واصحاب النوادر والمعازف والطنابير
وكان لا يلزم الحاذق من الزامين الا على الحاذق من المغنيين وان
امر الملك بذلك راجعه واحتج عليه وقل ما كانت ملوك الاعاجم
خاصة تأمر ان يزمر على المغني الا من كان معه في اسلوب واحد اذ لم
يكن مرشانهم ان ينقلوا احدا من طبقة وضيعة الى طبقة رفيعة الا
ان الملك كان ربما غلبه السكر حتى يوثر فيه فاما الزامر من الطبقة
الثانية ان يزمر على المغني من الطبقة الاولى فأبى ذلك حقوق ما
مذهب الخدم بالمراوح والمذاب فيكون اعتذار ان يقول ان كان مذهبي
بامر الملك وعن رايه فانه سيرضى عني اذا صحا بلزومي مرتبتي
وكان لاردشير قدوكل غلامين ذكيين لا يفارقان مجلسه لحفظ الفاظه
عند الشرب والمنادمة فاحدهما يملي والآخر يكتب حرفا حرفا وهذا انما
يفعلانه اذا غلب عليه السكر فاذا اصبح ورفع عن وجهه الحجاب قرأ عليه

الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه الى ان نام فاذا قرأ ما امر به الزامر ومخالفة
المغني اياه دعا بالزامر فخلع عليه وجزاه خيرا وقال اصبت فيما فعلت
واخطأ الملك فيما امرك به فهذا ثواب صوابك وعقوبة من اخطأ الا تزمر
اليوم الا على خبز الشعير والجبن فلا يطعم في يومه ذلك غيرهما وما
ذاك الا لمحافظتهم على السنة واخذ العامة بالسياسة التامة والامر
اللازم فلم يزل على ذلك ملوك الاعاجم حتى ملك بهرام بن يزدجرد
فاقر مرتبة الاشراف وابناء الملوك على ما كانت وسوى بين
الطبقتين من النداء والمغنين ورفع من اطربه وان كان في
اوضع الدرجات الى الدرجة الاولى وحط من قصر عن اراده
الى الطبقة الثانية فاقسم اردشير في المغنين واصحاب
الملاهي خاصة فلم يزل الامر على ذلك حتى ملك كسرى
انوشروان فرد الطبقات الى مراتبهم الاولى وكانت ملوك الاعاجم
كلها من لدن اردشير الى يزدجرد تحتجب عن النداء بستار

فكان يكون بينه وبين اوّل الطبقات عشرون ذراعا لانّ السّتارة
من الملك على عشرة اذرع والسّتارة من الطبقة الاولى على عشرة اذرع
وكان الموكّل بحفظ السّتارة رجلا من ابناء الاساورة يقال له
خرّم باش اذا جلس الملك لندمائه وشغله امر رجلا ان يرتفع على
اعلى مكان في قرار دار الملك ويغرّد بصوت رفيع يسمعه كلّ من حضر
فيقول يا لسان احفظ الرّأس فانّك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك
ثمّ يترك فكان هذا في كلّ يوم لمجلس الملك في اليوم فلا تجترئ احد
من خلق ان يفضّ لسانه في فيه بخير ولا غيره حتّى تحرّك السّتارة فيطّلع
القائم عليها فيأمر بامر فينفذه ويقول افعل يا فلان كذا وتعنّ انت يا
فلان كذا وكذا وكان النّدمآء من العظماء والاشراف وابناء
الملوك واخوة الملك وعمومته وبني عمّه واوضع الطبقات في مجلس
الملك في نصاب واحد اطراقا واخباتا وسكون طائر وقلّة حركة
فلم يزل امر الملوك من الاعاجم كذلك حتّى ملك الاردوان الاحمر فكان يقول

من كانت له منكم حاجة فليكتبها في رقعة وليرفعها قبل شغلي فانّهم ما فيها
ويخرج اليه امري وعقلي صحيح وفكري جامع فمن سأل في غير هذا الوقت
خاصّة ضربت عنقه وهو اوّل من فتح هذا الباب سائلا ولا يعطي
مبتدئا فلم يزل الامر كذلك حتّى ملك بهرام جور فكان يقول
للنّدمآء اذا رايتموني قد طربت وخرجت من باب الجدّ الى باب الهزل
فسلوا حوائجكم وكان يوكّل بحوائجهم صاحب السّتارة وكان اذا سكر مدّ النّاس
ايديهم برقاعهم فاخذها صاحب السّتارة فانفذها اليه فاخذها بيديه
ثمّ رمى بها من غير ان ينظر في شيء منها ويقول انفذوا كلّ ما فيها فكان
ذلك ربّما بلغ في ليلة واحدة من سؤال في اقطاع او قضاء دين او طلب
منيحة الف الف واكثر الآن ذلك لم يكن تبّاعا وكان اذا رفع احدهم
في رقعته ما ليس يجوز لمثله وهو خارج من حدّ القصد وداخل في
باب الافراط لم يقض له حاجة وسمّي جاهلا ولم يوخذ له رقعة ابدا
ثمّ لم يكن بعد في اخلاق الملوك من الاعاجم والعرب حتّى يزيد بن الوليد بن عبد الملك

نسوّى بين الطبقة العليا والسفلى وافسد اقسام المراتب وغلب عليه
اللهو واستخف بآيين المملكة واذن للندماء في الكلام والضحك
والمزل في مجلسه والردّ عليه وهو اوّل من شتم في وجهه من الخلفاء
على جهة المزل والسخف قلت لابي اسحق بن ابرهيم الموصلي
هل كانت الخلفاء من بني امية تظهر للندماء والمغنّيين قال اما معوية
ومروان وعبد الملك والوليد وسليمن وهشام ومروان بينهم وبين
الندماء ستار فكان لا يظهر احد من الندماء على ما يفعله الخليفة اذا
طرب والتذ حتى ينقلب ويمشي ويحرّك كتفيه ويرقص ويتجرّد حيث لا يراه
الا خاصّ جواريه الا انه كان اذا ارتفع من خلف الستارة صوت او
نغير طرب او رقص وحركة بزفير تجاوز المقدار قال صاحب الستارة
حسبك باجاريه كفى انتهى اقصى يوهم الندماء ان الفاعل لذلك بعض الجواري
فاما الباقون من خلفاء بني امية فلم يكونوا يتحاشون ان يرقصوا ويتجرّدوا
ويحضروا عرّاة لحضرة الندماء والمغنّيين وعلى ذلك لم يكن احد منهم في مثل

حال يزيد بن الوليد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في الجون والرقة
لحضرة الندماء والتجرّد ما يُبالي بيان ما صنعا قلت عمر بن عبد العزيز
قال في سمعه حرف غناء منذ افضت الخلافة اليه الى ان فارق الدنيا
فاما ما قبلها وهو امير المدينة فكان يسمع الغناء ولا يظهر الا الامر الجميل
وكان ربما صفّق وربما تمرّغ على فراشه وضرب برجليه فاما ان يخرج
من مقدار السخف فلا قلت لخلفاء بني العباس قال كان ابو العباس
في اوّل ايامه يظهر للندماء ثم احتجب عنهم بعد سنة اشار عليه اسيد بن عبد الله
فكان يطرب ويبتهج ويصيح من وراء الستارة احسنت والله اعد هذا
الصوت فيعاد له مرارا فيقول في كلها احسنت وكانت فيه فضيلة لا تجدها
في احد كان لا يحضره نديم ولا مغنّ ولا ملهى فينصرف الا بصلة او كسوة قلّت
او كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرّح
انسانا فتعجّل السرور وتجعل ثواب من سرّ تسويفا وعدة فكان في كل
يوم وليلة يتعوّد فيه لشغله لا ينصرف احد ممّن حضره الا مسرورا ولم يكن

هذا لعزني ولا عجمي قبله غير انه تحكى عن بهرام جور ما يقارب هذا
فاما ابو جعفر فلم يكن يظهر لنديم ولا راه احد يشرب الا الماء مثلها
فاذا غناه المغني واطربه حركت الستارة بعض الجواري فاطلع اليه
الخادم صاحب الستارة فيقول له احسنت بارك الله عليك وربما احب
ان يصفق بيديه فنقوم عن مجلسه ويدخل بعض حجر نسائه فيكون ذاك
هناك وكان لا يثيب احدا من ندمائه وغيرهم درهما فيكون له رسم في ديوان
ولم يقطع احدا ممن كان يضاف الى ملهية او ضحك او هزل موضع قدم
من الارض وكان يحفظ كل ما اعطى واحدا منهم عشر سنين ويحسبه
ويذكره له وكان ابو جعفر المنصور يقول من صنع مثل ما صنع
اليه فقد كافأ ومن اضعف كان شكورا ومن شكر كان كريما ومن علم
ان ما صنع فالى نفسه صنع لم يستبطئ الناس في شكرهم ولم يسترددهم في
مودتهم ولا تلتمس من غيرك شكر ما اتيته الى نفسك ووقيت به عرضك
واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فاكرم وجهك عن

ردّه وكان المهدي في اول امره تحجب عن الندماء متشبها
بالمنصور نحوا من سنة ثم ظهر لهم فاشار عليه ابو عون بان يحتجب عنهم
فقال اليك عني يا جاهل انما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدنو ممن
سرني فاما من وراء وراء فما خيرها ولذتها ولو لم يكن في الظهور
للندماء والاخوان الا اني اعطيهم من السرور بمشاهدتي مثل الذي
يعطوني من فوائدهم لجعلت لهم في ذلك حظا موفرا وكان كثير العطايا
وافرها قل من حضره الا اغناه وكان ليّن العريكة سهل الشريعة
لذيذ المنادمة قصير المناوءة ما يمل نديما ولا يتركه الا من ضرورة
صبورا على الجلوس ضاحك السن قليل الاذى وكان الهادي
شكس الاخلاق صعب المرام قليل الاعتناء سيئ الظن قل من توقاه
وعرف اخلاقه الا اغناه وما كان شيء ابغض اليه من ابتدائه بسؤال
وكان يأمر للمغني بالمال الخطير الجزيل فيقول لا يعطيني بعدها شيئا
فيعطيه بعد ايام مثل ذلك العطية ويقال انه قال يوما وعند ابن

جامع

وابرهيم الموصلي ومعاذ بن الطبيب وكان اوّل من دخل عليه معاذ
وكان حاذقا بالاغاني عارفا لها من اطربني منكم فله حكمه فغنّاه
ابن جامع غناء لم يحرّكه وكان ابرهيم قد فهم غرضه فغنّاه

سليمى اجمعت بينا فابن تقولها اينا فطرب حتّى قام من مجلسه

ورفع صوته وقال اعد بالله وبحياتي فاعاد وقال انت صاحبي فاحكم فعال
ابرهيم يا امير المؤمنين حافظ عبد الملك بن مروان وعينه الخراره
بالمدينة قال فوارت عيناه في راسه حتّى صارتا كأنّهما جمرتان ثمّ قال
يا ابن اللخناء اردت ان تسمع العامّة انّك اطربتني وانّي حكمتك فاقتلك
لولا مبادرة جهلك الّتي غلبت على صحيح عقلك وفكرك لضربت الّذي فيه عيناك
ثمّ سكت هيبةً قال ابرهيم فرات ملك الموت واقفا بيني وبينه ينتظر
امره ثمّ دعا ابرهيم الحرّاني فقال خذ بيد هذا الجاهل وادخله بيت المال
فليأخذ منه ما شاء فاخذ الحرّاني بيدي فقال كم تأخذ قلت مائة بدرة
قال دعني اؤامره قلت فاخذ تسعين قال حتّى اؤامره قلت فثمانين قال لا ولا

الآن وعرفت غرضه فقلت آخذ سبعين ولك ثلثون قال شانك فانصرفت
بسبعين بدرة وانصرف ملك الموت عن الدار قال وكان الرشيد
في اخلاق ابي جعفر عمّها كلّها الّا في العطايا فانه كان يتعوّد فعل
ابي العبّاس والمهدي وممّا اخبرك انه رآه يشرب الّا الماء فكذبه وكان
لا يحضر شربه الّا خاصّ جواريه وربّما طرب للغناء فتحرّك حركة بين
الحركتين في القلّة والكثرة وهو من بين خلفاء بني العبّاس من جعل
للمغنّين مراتب وطبقات على ما وضعهم اردشير وانوشروان وكان
ابرهيم وابن جامع وزلزل في الطبقة الاولى وكان زلزل يضرب ويغنّي
هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن سلامة وعمرو والعزال ومن
اشبههما والطبقة الثالثة اصحاب المعازف والزنج والطنابير
وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم وصلاتهم وكان اذا وصل
واحدا من الطبقة الاولى بالمال الكثير الخطير جعل لصاحبيه الّذين
معه في الصنعة نصيبا منه وجعل للطبقتين اللّتين تليانه منه

ايضا نصيبا واذا وصل احدا من الطبقتين الاخريين لم يعط واحدا من الطبقة
العالية منه درهما ولا يجترئ ان يعرض ذلك عليه قال
فسأل الرشيد يوما ابرصوما الزامر فقال يا اسحق ما تقول في ابن جامع
فحرك رأسه وقال خمر قطربل يعقل الرجل ويذهب بالعقل قال
فما تقول في الموصلي قال بستان فيه خوخ وكمثرى وتفاح وشوك وخرنوب
قال فما تقول في سليمن بن سلامه فقال ما احسن خضابه قال
فما تقول في عمرو العزال قال ما احسن ثيابه وكان منصور يقول لزلزل
احذق من برأ الله بالحسن فكان اذا حسن العود فلو سمعه الآصف وهو
تحالم في دوم كله لم يملك نفسه حتى يطرب قال ابرهيم فغنيت يوما
على ضربه خطأ اني فقلت لصاحب الستارة هو والله اخطأ قال فرفع الستارة
قال يقول لك امير المؤمنين انت والله اخطأت فحمي زلزل وقال يا ابرهيم
تخطئني فوالله ما فتح احد من المغنين فاه بغناء قط الا عرفت غرضه فكيف
أخطئ وهن حالي فاداها صاحب الستارة فقال الرشيد قل له صدقت انت

كما وصفت نفسك وكذب ابرهيم واخطأ قال ابرهيم فغنيني ذلك
وكان منصور زلزل من اسخى الناس واكرمهم نزل بين ظهراني قوم
وقد كانت تحل لهم اخذ الزكوة فما مات حتى وجبت عليهم الزكوة وكان
اسحق ابرصوما في الطبقة الثانية قال فطرب الرشيد يوما لزمره
فقال له صاحب الستارة يا اسحق ازمر على غناء ابن جامع قال لا افعل
قال بقول لك امير المؤمنين فلا تفعل قال ان كنت ازمر على الطبقة العالية
رفعت اليها فاما ان اكون في الطبقة الثانية وازمر على الاولى
فلا افعل قال الرشيد لصاحب الستارة ارفعه الى الطبقة الاولى
فاذا فتح فادفع البساط الذي في مجلسهم اليه فرفع اسحق الى الطبقة
العالية واخذ البساط وكان ساوى الفي دينار فلما حمله الى منزله
استبشرت به امه واخوانه وكانت امه بنطية لكناء فخرج ابرصوما
عن منزله لبعض حوائجه وجاء نساء جيرانه يهنونه بما خص به دون
اصحابه ويدعون لها فاخذت سكينا وجعلت تقطع لكل من يهنيها

قطعة من البساط حتى اتت على اكرم فجاء ابرصوما فاذا البساط قد
تقسم بالسكاكين فقال وتلك ما صنعت فقالت لم ادر ظننت انه كذا
تقسم فحدث الرشيد بذلك فضحك ووهب له آخر وزعم سعيد بن وهب
ان ابرهيم الموصلي غنى امير المؤمنين هرون صوتا فكاد يطير طربا
فاستعاده عامة ليله وقال ما رأيت صوتا يجمع السخاء والطرب وجودة
الصنعة والعنخف غير هذا الصوت فاقبل ابرهيم فقال يا امير المؤمنين
لو وهب لكل انسان مائة الف درهم اولو وجدت مائة الف درهم مطروحة
كنت اسر بها او بهذا الصوت قال والله لانا اسر بهذا الصوت مني بالف
الف والف الف قال فلو فقدت من بيت مالك مائة الف كان اشد عليك اولو فقدت
هذا الصوت وقاتل هذا السرور قال بل الف الف والف الف اهون علي
قال فلم لا تهب مائة الف او مائتي الف لمن اتاك بشيء فقدته الفي الف اهون
عليك منه فامر بمائتي الف درهم قلت لاسحق فالمخلوع اين كان
من الذين ذكرنا قال ما كان اعجب امره واما تبذله فما كان يبالي اين قعد

ومع من قعد وكان لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب خرقها
كلها والقاها عن وجهه حتى يقعد حيث قعدوا وكان من اعطى
الخلق لذهب وفضة والهبهم للاموال اذا طرب اولها وقد رأيته
وقدم لبعض اهل بيته في ليلة بوقر ورق ذهبا فانصرف به
وامر لي باربعين الف دينار فحملته امامي ولقد غناه ابرهيم بن
المهدي غناء لم ارتضه فقام عن مجلسه فاكب عليه فقبل رأسه فقام
ابرهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه فامر له بمائتي الف دينار
ولقد رايته يوما وعلى رأسه بعض غلمانه فنظر اليه فقال
ويلك ثيابك هذه تحتاج الى ان تغسل انطلق فخذ ثلثين بدرة فاغسل
بها ثيابك ولقد حدثني علوية عنه قال لما احيط به وبلغت حجارة
المنجنيق بساطه كنا عنده فغنته جارية له بغناء تركت فيه شيئا ولم تجد
حكايته فصاح يا زانيه تغنيني الخطأ خذوها فحملت وكان آخر العهد بها
قلت فالمامون قال اقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا

من الغنآء ثم سمعه من وراء حجاب متشبّها بالرّشيد فكان ذلك سبع
حجج ثم ظهر للنّدمآء والمغنّين قال وكان حين احبّ السّماع ظاهرا
بعنه اكثر دال اهل بيته ويقال انّه سأل عن اسحق بن ابرهيم الموصلى
فغمز من حضر فامسك عن ذكره فال فجآءه زرزر يوما فقال اسحق يجيء
اليوم عند امير المومنين قال اسحق فغنّنه بهذا الشّعر

يا سرحة المآء قد سدّت موارده ... اما اليك طريق غير مسدود
لحآئم حام حتّى لاحيام به ... محلّأ عن طريق المآء مطرود

قال فلمآ غناه به زرزر اطربه وابهجه وحرّك له جوارحه
وقال ويلك من هذا قال عبدك المجفوّ المطّرح ياسيّدي اسحق قال احضر
السّاعة فجآءه رسوله واسحق مستعدّ قد علم انّه قد سمع الغنآء من مجيد
يؤدّي انّه سيبعث اليه فجآءه الرّسول فحدّثه انه لما دخل عليه ودنا منه
مدّ يده اليه ثم قال ادن منّى فاكبّ عليه واحتضنه المامون وادناه واقبل
بوجهه مسرورا به ... ومن اخلاق الملك السّعيد ترك

التّغلّب في المنادمة وقلّة التّحفّظ على ندمآئه وسيّما اذا غلب احدهم
على عقله وكان غير املك به منه بنفسه والسّكر حدّ اذا بلغه نديم
الملك فاجمل الامور واخرها باخلاقه ان لا يؤاخذه بزلّه ان سبقته
ولا بلفظة غلبت على لسانه ولا بهفوة كانت اخذ خواطرهم والحدّ في
ذلك الّا يعقل ما يقول ولا ما يقال له وان خلّي ونفسه رمى بها في مهواة
وان اراد احد اخذ شيا به لم يمانعه فامّا اذا كان ممن يعرف ما يأتي
وما يذر وكان اذا رام احد اخذ ما منعه قاتله دونه وكان اذا شتم
غضب وانتصر واذا تكلّم افصح وقلّ سقطه ... فاذا كانت هذه صفاته
وجآءت منه زلّة فعلى عمد اتاها وبقصد فعلها فالملك جدير ان يعاقبه
بقدر ذنبه فان ترك عقوبة هذا ومن اشبهه قدح في عزّه وسلطانه

ومن الحق على الملك الّا يتجاوز باهل الجريمة عقوبة جرائمهن
فان لكلّ ذنب عقوبة امّا في الشّريعة والنّواميس وامّا في الاجماع والاصطلاح
فمن ترك العقوبة في مواضعها فبالحري ان يعاقب عزلا ذنب له وليس بين

ترك العقوبة اذا وجبت وعقوبة من لا ذنب له فرق وانما وضع
الله الملوك بهذه المواضع الرفيعه ليقوموا كل ميل ويدعموا كل
اقامةٍ ومن اخلاق الملوك الا يشارك بطانته وندماءه في مسّ
الطيّب ولا الحمّ فان هذا وما اشبهه يرتفع الملك فيه عن مساواة
احد وكذا يجب على بطانة الملك وقرابته الا يمسّوا طيبا اذا تطيّب
لينفرد الملك بذلك دونهم وليس الطيّب كالطعام والشراب اللذين لا بدّ
من مشاركة اليد على ما فيهما فما كل ما امكن الملك ان يفرد به دون
خاصّته وحاشيته فمن اخلاقه ان لا يشارك لاحد فيه وكذا
حكي عن انوشروان ومعوية بن ابي سفيان وبعض اهل العلم لحكي عن
الرشيد ما يرتب من هذا واولى الامور باخلاق الملك ان امكنه
التفرّد بالماء والهواء الا يشرك فيهما احدا فان البهاء والعزّ والابهة
في التفرّد الا ترى انّ الامم الماضية من الملوك لم يكن شيء
احبّ اليهم من ان يفعل شيئا يعجز عنها الرعيّة او يتزيّنون بزيّ

ينهون عنه الرعيّة عن مثله فمن ذلك ان اردشير كان اوّل ملوك
آل ساسان كان اذا وضع التاج على راسه لم يضع احد في المملكة
على رأسه قضيب ريحان متشبّها به وكان اذا ركب في لبسة لم ير على
احد مثلها واذا اختمّ بخاتم فحرام على اهل المملكة ان يختمّوا بمثل ذلك
الفصّ وان بعد في التشابه وهذ من فضائل الملوك وطاعة
اهل المملكة ان يتجامى اكثر زيّ الملك واكثر احواله وشيمه حتّى لا يأتي
ما لا بدّ لها منه وهذا ابو حيّة سعيد بن العاص كان
اذا اعتمّ بمكّة لم يعتمّ احد بعمّة ما دامت على راسه وهذا الحجّاج كان
اذا وضع على راسه طويله لم تجسّر احد من خلق الله ان يدخل وعلى
رأسه مثلها وهذا عبد الملك بن مروان كان اذا لبس
الخفّ الاصفر لم يلبس احد من الخلق خفّا اصفر حتّى ينزعه
وهذا ابرهيم بن المهدي بالامس دخل على ابن ابي دواد وعليه
مبطّنة ملوّنه من احسن ثوب في الارض وقد اعتمّ على رأسه رصافية

بعمامة خزّ سوداء لها طرفان خلفه وامامه وعليه خفّ اصفر
وفي يده عكازة آبنوس ملوّح بذهب وفي اصبعه فصّ ياقوت
يضيء به يده فنظر اليه بهيبة ملأت قلبه وكان رحيما فقال يا ابرهيم
انه جئتني في لبسة وهيئة ما تصلح الّا لواحد من الخلق فلم يأته
حتّى مات وحدّثنا ابو حسّان الزيادي وذكر الفضل بن سهل
فترحّم عليه وقال وجّه الي ليلة وقد آويت الى فراشي رسولا فقال يقول
لك ذو الرياستين لا يعتمّ غدا على قلنسوة اذا حضرت الدار قال
فبتّ واجما وانا لا اعلم ما يريد بذلك وغدوت وغدا الناس
على طبقاتهم ومراتبهم فجاء الحسن بن ابي سعيد الي فرأى الدار فقال ان
امير المؤمنين يتعدّى في هذا اليوم ويعتمّ على قلنسوة فانزعوا عمائكم
وحدّثني بعض اصحابنا عن الحسن بن رشيد قال لما مات
القسم بن الرشيد وجّه الى المامون رسولا فاثبته فجعل يسألني
عن عياله وعن امواله ويشكو الي ويقول كان يفعل كذا ويفعل كذا فكان

في تلك الشكاية ان قال وكان اذا ركب بمرو ركب في رصافيه
ومن اخلاق الملوك اذا علم ان بعض النداء قد بلغ غاية مجهوده
في القرب وان الزيادة بعد ذلك تضرّ ببدنه وجوارحه ان
يأمر بالكفّ عنه وان لا يكلّف فوق وسعه فانه من تجاوز حقّ
العدل عن الخاصّة لم تطع العامّة في انصافه ومن حقّ الملك
ان لا يكلّمه احد من النداء مبتدئا ولا سائلا لحاجة حتّى يكون
هو المبتدئ بذلك فان جهل احد ما يلزمه في ذلك تقدّم اليه فيما يجب عليه
فان عاد فعلى الموكّل بامر الدار ان يحسن ادبه والّا يأذن له في الدخول
حتّى يكون الملك يبتدئ ذكره ثمّ يوعز اليه انه ان عاد سقطت مرتبته
فلم يطأ بساط الملك وكان شيرويه بن ابرويز يقول انما تعذر
البطانة برفع حوائجها الى الملوك عند ضيقه يكون او عند جفوة تناله
من ملوكهم او عند مؤونة تحدث لهم او عند تتابع ازمه فاذا كان
الملك هكذا فعليه تعهّد ذلك من خاصّته حتّى تصلح لهم امورهم ويسدّ

خلتهم فاذا كانوا من الكفاية في اقصى حدودها ومن خفض العيش في
ارفع خصاصه من ذوات اليد وادرار العطايا في اتم صفاتها ثم
ان فتح احدهم فاه يطلب ما فوق هذه الدرجة فالذي حرمه على ذلك الشرف
والمنافسة ومن ظهرت هاتان منه كان جديرا ان ينزع كفايته
من يده ويصير في يدي غيره وينقل الى الطبقة الخسيسة ويلزم اذناب
البقر وحراثة الارض ومن اخلاق الملك ان لا يمن باحسان
سبق منه ما استقامت طاعة من انعم عليه ودامت ولايته الا ان يخرج من
طاعة الى معصية فاذا فعل ذلك فمن اخلاقه ان يمن عليه اولا باحسانه
اليه ويذكره بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه ثم يكون من وراء عقوبته
بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه وحدثني ابن الجهم
وداود بن ابي داود قالا جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن حازم
فاقبل نعيم حافيا حاسرا وهو يقول ذنبي اعظم من الهواء ذنبي اعظم من الماء
فقال له الحسن بن سهل على رسلك تقدمت منك طاعة وكان آخر امرك الى توبة

وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنب في الذنوب باعظم من عفو امير المؤمنين
في العفو ومن اخلاق الملك التسعير الا يعاقب وهو غضبان لان هذه
حال لا يسلم معها التعدي والتجاوز لحد العقوبة فاذا سكن غضبه ورجع
الى طبعه امر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة ونقلته الملة
وان لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه فمن العدل ان تجعل عقوبة
ذلك الذنب واسطة بين غلظ الذنوب ولينها وان تجعل الحكم
عليه فيه ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال فاما العقوبة
فلا تجوز اذا رفع امرها الى الملك وليس الذنب لحضرة الملك كالذنب
لحضرة السوقة ولا الذنب لحضرة الحاكم كالذنب لحضرة الجاهل لان الملك
هو بين الله وبين عباده فاذا وجب لحضرته الذنب فرحقه العقوبة
عليه ليزدجر الرعايا عن العثايه والتتابع في الفساد ومن
حق الملك اذا هم بالحركة للقيام ان يسبقه بطانته وخاصته بذلك
فان اومى اليهم ان لا يبرحوا لم يقعد احد منهم حتى يتوارى عن اعينهم فاذا

خرج فمن حقه ان يقع نظره عليهم وهم قيام فاذا قعدكانوا على حالهم
تلك فان نظر اليهم ليقعدوا لم يقعدوا جملة بل يقعد الطبقة الاولى
اولا فاذا قعدت عن آخرها تبعتها الطبقة الثانية فاذا قعدت
عن آخرها تبعتها الطبقة الثالثة وايضا فان من كل طبقة
رأسا وذنبا فمن الواجب ان يقعد من كل طبقة رأسها ثم هلم جرا
على مراتب الطبقة اولا اولا ومن حق الملك الا يدنو منه
احد صغير ولا كبير حتى يمس ثوبه الا معروف في مركب حسن غير
خامل الذكر ولا مجهول فان احتاج الملك الى مشافهة خامل او وضيع
واضطر اليها اما لنصيحة يسرها اليه او لامر جليل فمن حق الملك
ان لا يجاوز الدنو منه حتى يفتش اولا ثم يأخذ بضبعيه اثنان
احدهما عن يمينه والآخر عن شماله فاذا ابرما عنه وقبل منه
الملك ما جاء به فمن حقه على الملك الاحسان اليه والعائدة عليه
والنظر في حاجته ان كانت له ليرغب ذوو النصائح في رفعها الى ملوكهم

والتقرب بها اليهم ومن حق الملك اذا حدث الحديث ان يضرب
من حضره فكره وذهنه عنه فان كان يعرف الحديث الذي تحدث
به الملك استمعه استماع من لم يدر في حاشية سمعه ولم يعرفه واظهر
السرور لفائدة الملك والاستبشار لحديثه فان في ذلك امرين احدهما
ما يظهر من حسن ادبه والآخر فانه يعطي الملك حقه من الاستماع وان
كان لم يعرفه والنفس الى فوائد الملوك والحديث عنها اقرم منها الى
اشد حرصا
فوائد السوقة ومن اشبهها وانما مدار الامر والغاية التي اليها تجري
الفهم والافهام والطلب ثم التثبت قال عمرو بن العاص
لله لا املهن جليسي ما فهم عني وثوبي ما ستري ودابتي ما حملت رحلي
وذكر الشعبي نا فقال ما رأيت مثلهم اشد تنافسا في مجلس ولا
احسن فهما عن محدث وقال سعيد بن سلم لامير المؤمنين
المامون لولم اشكر الله الا على حسن ما ابلاني يا امير المومنين من فصل
الى الحديث واشارته الى نظرفه لقد كان ذلك من اعظم ما تفرضه الشريعة

وبوجبه الحرية قال المأمون لان امير المؤمنين والله تجد عندك من حسن
الافهام اذا تحدثت وحسن الفهم اذا حدثت ما لم تجد عند احد فيما مضى
ولا يظن انه تجد في ما بقي وفيما حكي عن انوشروان انه
بينا هو في مسير له وكان لا يسايره احد من الخلق مبتدئا ولا اهل
المراتب العالية خلف ظهره وعلى رايتهم فان التفت يمينا دنا منه صاحب
الحرس وان التفت شمالا دنا منه الموبذ فامره باحضار من اراد مسايرته
قال فالتفت في مسيره هذا فدنا منه صاحب الحرس فقال فلان فقال
حدثني عن اردشير حين واقع ملك الخزر وكان الرجل قد سمع من
انوشروان هذا الحديث مرة فاستعجم عليه واوهم انه لا يعرفه فحدثه
انوشروان بالحديث فاصغى اليه الرجل جوارحه كلها وكان مسيرهما
على شاطئ نهر وترك الرجل اقباله على حديثه النظر الى مواطئ حافر
دابته فزلت احدى قوائم الدابة فمالت بالرجل الى النهر فوقع في الماء
ونفرت دابته وابتدرها حاشية الملك وغلمانه فازالوها عن الرجل

وجذبوه فحملوه على ايديهم حتى اخرجوه فاغتم لذلك الملك ونزل عن دابته
وبسط له هناك فاقام حتى تعزى في موضعه ذلك ودعا بثياب
من خاص كسوته فالتفت على الرجل واكل معه وقال له كيف اعفلت
النظر الى موطئ حافر دابتك قال ايها الملك ان الله اذا انعم على عبد
نعمة قابلها بمحنة وعارضها ببليه وعلى قدر النعم تكون المحن وان الله
انعم علي بنعمتين عظيمتين منها اقبال الملك علي بوجهه من بين هذا
السواد الاعظم ومنها هذه الفائدة وتدبير هذا الحرب الذي حدث
فيها عن اردشير حتى لو دخلت الى حيث تطلع الشمس او تغرب فيه
كنت رابحا فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت قابلناهما بهذه المحنة
ولولا اساورة الملك وخدمه كنت بعرض هلكة وعلى ذلك فلو عرفت
حتى اذهب عن جديد الارض كان قد ابقى لي الملك ذكرا مستدلا مخلدا
ما بقي الضياء والظلام فسر الملك وقال ما ظننتك لهذا العذار الذي
انت به فحشا فمه جوهرا ودرا ثمينا واستبطنه حتى غالب على اكرامه

وهكذا يحكى عن يزيد بن شجرة الرهاوى انه بينا هو يساير معوية
ومعوية يحدثه عن يوم خزاعه وبني مخزوم وقريش وكان هذا قبل
الهجرة وكان يوما اشرف الفريقان على الهلكة حتى جاءهم ابو سفيان
فارتفع ببعيره على رابية ثم اومى بكفه الى الفريقين فانصرفوا قال
فبينا معوية يحدث يزيد بهذا الحديث اذ صك وجهه اعني يزيد
حجر عائر فادماه وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه ما يمسح
وجهه فقال معوية لله انت ما ترى ما نزى بك قال وماذاك يا
امير المؤمنين قال هذا دم وجهك يسيل على ثوبك قال اعتق ما املك ان لم
يكن حديث امير المؤمنين الهاني حتى غمر فكرتي وغطى على قلبي فما شعرت
بشئ حتى نبهني له امير المؤمنين فقال له معوية لقد ظلمك من جعلك
في الف من العطاء واخرجك عن عطاء ابناء المهاجرين وحماة اهل الصفير
فامر له بخمس مائه الف درهم وجعله بين جلده وثوبه فلئن
كان يزيد بن شجرة خدع معوية في هذه ومعاوية ممن لا يخادع

فما مثله الا كما قال الاول من نكل العير ينكل نيا كا ولئن كان
بلغ من بلادة يزيد بن شجرة وقلة حسه ما وصف به نفسه ما كان
يجدير بخمس مائه الف وزياده الف في عطائه وما اظن ذلك خفي عن معوية
ولكنه تغافل على معرفة ويروى عن معاوية انه كان يقول
السر والتغافل وهكذا يحكى عن ابي بكر الهذلي انه بينا هو يكلم
ابا العباس بحديث من احاديث الفرس فعصفت الريح فاوردت طستا
من سطح الى مجلس ابي العباس فارتاع من حضره ولم يتحرك ابو بكر لذلك
ولم تزل عينه مطابقة لعين ابي العباس فقال له ما اعجب شانك يا هذا لم ترع
ما راعنا فقال يا امير المؤمنين ان الله عز وجل يقول ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وانما للمرء قلب واحد فلما غزم السرور بفؤاده امير
المومنين لم يكن فيه لحادث مجال وان الله اذا انفرد بكرامة لعبد واحب
ان يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبيه وخليفته وهذه
كرامة خصصت بها ما ال اليها ذهني وشغل بها فكري فلو انقلبت الخضراء

على البيضاء ما احسست لها ولا توجهت لها الا بما يلزمني في نفسي لامير
المؤمنين فقال له ابو العباس لئن بعت لك لاخرعن منك ضبعا لا تطيف
به السباع ولا تحط عليه العقبان وكان ابن عباس يقول لم تقرب العامة
الى الملوك بمثل الطاعة ولا العبيد بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن
الاستماع وكان روح بن زنباع يقول اذا اردت ان يمكنك الملك
من اذنه فامكن اذنك من الاصغاء اليه اذا حدث وكان اسماء بن
خارجة يقول ما غلبني احد قط الا رجل يصغي الي حديثي وكان معاوية
يقول غلب الملك حتى يركب بشيئين بالحكم عند سورته والاصغاء الى
حديثه ومن اخلاق الملك اذا قرب انسانا او انس به حتى يجوز له
ويضاحكه ثم دخل عليه دخول من لم تجر بينهما انس قط واظهر من الاجلال
له والتعظيم والاعزاز اكثر مما كان عليه قبل فان اخلاق الملك ليست
على نظام ومن اخلاقهم الا يكون اخلاقهم معروفة فيعمل عليها
ويعاملون بها الا ترى ان الملك قد يغضب على شخص من حماته وبطانته

اما الخيانة في طلب مال او الخيانة في حرمة الملك فتؤخر عقوبته
دهرا طويلا ثم لا يظهر له ما يوحشه حتى تنسى ذلك في اللحظة والكلمة
والاشارة وما اشبه ذلك وليس هذه اخلاق سائر الناس اذ كنا
نعلم ان طبائع الناس الانتصار في اول اوقات الجنايات وعند
بوادر الغضب واما الملوك وابناؤهم فليست تقاس اخلاقهم ولا تعامل
عليها اذ كان احدهم يضع احد خلق الله بين اذنه وعاتقه وبين
سحره ولحزه فتطول مدة الملك وعمر به الا زمنه وهو له قتله في اول
حادثة تكون وعند اول عثرة يعثر لم يكن بين هذه القتلة وبين اخرى بعدها
عشرين سنة اذ كان لا يحاف نارا ولا في الملك وهنا وفيما يذكر عن سيرة
انوشروان ان رجلا من خاص خدمه جنى جنايه اطلع عليها انوشروان
والرجل غافل عنه وكانت عقوبة تلك الجناية توجب القتل في الشريعة فلم يدر
كيف يقتله لا هو ولا وجد مرا ظاهرا يحكم عثله الحكام فيستحل به دمه
ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على الملك والملكة ولا وجد

عذرا لنفسه في قتله غيلة اذ لم يكن ذلك من شرائع دينهم ووراثة سلفهم
فدعاه به بعد حنا يته بسنة فاستحلاه وقال قد حز بني امر من اسرار
ملك الروم وبي حاجة الى ان اعلمها وما اجد لي اسكن الى احد سكوني اليك
اذ خلت من قلبي المحل الذي انت فيه وقد رأيت ان ادفع اليك مالا
لتحمل الى هناك تجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك فاذا بعت
ما معك حملت مالي في بلادهم من تجاراتهم واقبلت الي وفي خلال ذلك
تصغي الى اخبارهم وتطلع طلع ما بنا حاجة اليه من امورهم واسرارهم
فقال الرجل افعل ايها الملك وارجو ان ابلغ في ذلك محبة الملك ورضاه
فامر له بمال وجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام ببلاد الروم حتى
باع واشترى ولقن من كلامهم ولغتهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض
اسرارهم ثم انصرف الى انوشروان فاستبشر بقدومه وزاد في برّه وردّه
الى بلادهم وامره بطول المقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف
واستفاض ذكره فلم يزل لذلك حاله ست سنين حتى اذا كان في السنة

السابعة امر الملك ان تصوّر صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب
فيها وصوّره وجعله مخاطبا له ومشيرا اليه من بين اهل المملكة
ويدني رأسه من راس الملك في الصورة كانه يسارّه ثم وهب ذلك الجام
لبعض خدمه وقال له ان الملوك لترغب عن مثل هذا الجام فان اردت بيعه
فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته فانه ان باعه من
الملك نفسه تنعّل وان لم يكن بيعه من الملك باعه من وزيره او من بعض
حاشيته فجاء غلام الملك بالجام ليلا وقد وضع الرجل رجله في غرز ركابه
فسأله ان يبيع جامه من الملك ويتخذ بذلك عنده يدا وكان الملك يقدم
ذلك الغلام وكان من خاصّ غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وامره
بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احمله فاذا صرت الى باب الملك فليكن فيما
اعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفعه صاحب الخزانة اليه فعرّفه فيما
يعرض على الملك فلما وقع الجام في يدي الملك نظر اليه ونظر الى صورة انو
شروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضوا عضوا وجارحة جارحة فقال اخبرني

هل تصوّر مع الملك صورة رجل خسيس الاصل قال لا قال فهل تصوّر
في آنيه صورة واحد لا اصل لها ولا علّة قال لا قال فهل في دار الملك
انسان يتشابهان في صورة واحدة حتى يكون هذا كانّه هذا في الصّوت
كلها وكلا يهما ندمان يا الملك قال لا اعرفه قال له قم فانظر فوجد صورته
قائما في الجام قال ادبر فادبر فتامّل صورته في الجام مدبرا ثم قال
اقبل فاقبل فتامّل صورته في الجام مقبلا فوجدها بحكاية واحدة و
وتخطيط واحد فضحك ولم تجترئ الرجل ان يسأله عن سبب ضحكه
اجلالا واعظاما فقال ملك الروم الشاة اعقل من الانسان اذ كانت
تاخذ عدّتها فتذفها وانت اهديت الينا موتك بيدك ثم قال تغدّيت
قال لا قال قرّبوا اليه طعاما فقال الرّجل انا عبد ذليل والعبد لا يأكل
بحضرة الملك قال الملك انت عبد ما كنت عند ملك الروم متطلّعا على اسراره
متتبّعا لاسراره بل انت ملك وندیم ملك اذا قدمت بلاد فارس المطعوم
فاطعم واسقي الخمر حتى اذا ثمل قال ان فرسني ملوكنا ان يقتل الجواسيس

في اعلا موضع يقدر عليه ولا تقتل جائعا ولا عطشانا فامر ان يصعد به
الى صرح مكان يشرف منه على كل من في المدينة اذا صعد فضربت عنقه
هناك والقيت جثّته من ذلك الصّرح ونصب برأسه للنّاس فلمّا بلغ
كسرى امر صاحب الحرس ان يامر بالعود بضرب الحراسة اذا مرّ بالحراس
الذّهب ان يقول اذا مرّ على دور نساء الملك وجواريه كل نفس وجب عليه
القتل فمن الارض يقتل الامر تعرّض لحتف الملك فانّه يقتل في السّماء فلم يدر
احد من اهل مملكته ماذا اراد به حتى مات فليس في الارض نفس
تصبر على مضض الحقد ومطاولة الايّام بما صبر الملوك ولذلك
بطل القياس على اخلاقهم ووجهت الرّاي ذوي الحجى والتّمييز في العمل
عليها والمقابلة بها حتى خرج على رأي واحد ونظم مؤتلف

وكذلك يحكى عن عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد انه اقام بضع سنين
يزاول قتله فمرّة يرجئه واخرى يهمّ به واخرى يحجم واخرى يقدم حتى
قتله على اخبث حالاته وحدّثني ميمون بن جعفر بن سليمان قال

قال حدثني حسين الخادم قال اشهد بالله لكنت عند الرشيد وهو متعلق
باستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه وهو يقول في مناجاة ربه
اللهم انّي استجيرك من قتل جعفر بن يحيى ثم قتله بعد ذلك بخمس اوست
سنين ومن حق الملك الّا يرفع احد من خاصته وبطانته رأسه
الى حرمة له صغرت ام كبرت وكم من فيل قد وطئ هامة عظيم وبطنه
حتى بدت امعاءه وكم من شريف وعزيز قوم قد تمزقه السباع و
وكم من جارية كانت كريمة عزيزة في ناديها قد اكلها حيتان البحر وطير
الماء وكم من مزججة كانت تصان وتعلى بالمسك والبان قد نبذت بالعراء و
غيبت جثثها في الثرى بسبب الحرم والنساء والخدم والاولياء ولم يات
الشيطان احدا من باب قط حتى يراه بحيث يهوي منقسم اللحم والاعضاء
هو ابلغ في مكيدته واخرى ان يرى فيه امنيته من هذا الباب اذ كان من
اللطف مكايد واد ق وساوسه تعالى الحكيم المحبّ للفناء هذا النسيم
الدقيق وهذا الماء الرقيق ان تطلب دواءها لنفسه بكل حيلة تجد الى

سبيلا وتدفع مفارقتها لكل شئ يقع فيه التاويل بين امرين من سلامة
تنجي او عطب تتلف ولا تتكل على جنايته ان جنت او فجرة حظي بها احد
من اهل السفه والبطالة فان تلك لا تسمى سلامة بل انما هي حسرة وندامة
يوم القيمة وكم من فعلة قد ظهر عليها بعد مرور الايام وطول الازمنة
فاها فاو ردت من كان قد احسن بها الظن حتى تركته كامس الذاهب
كان لم يكن في العالم ومن حق الملك اذا انس بانسان حتى يفضي حكمه
ويفضي اليه بسرّه ويخصّه دون اهله ثم دخل على الملك داخل فرآه زائر
لا يرفع اليه طرفه اعظاما واكراما وتبجيلا وتوقيرا ولا يضحك يضحك
الملك ولا يعجب يعجبه ولكن غرضه الاطراق والصمت وقلة الحركة
ومن حق الملك الّا يرفع احد صوته بحضرته لان من تعظيم الملك وتبجيله
خفض الاصوات بحضرته اذ كان ذلك اكبر في بهائه وسلطانه وبهذا ادب
الله عزّ وجلّ اصحاب رسوله صلى الله عليه فقال يا ايها الذين آمنوا لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فاخبر ان من رفع
صوته فوق صوت النبي عليه السلم فقد آذاه ومن آذاه فقد اذى الله
ومن آذى الله فقد حبط عمله وكان قوم من سفهاء بني تميم اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخرج الينا نكلمك فعلم ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساءه ما ظهر من سوء ادبهم فانزل الله عز وجل
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ثم اثنى
على من غض صوته لحضرة رسوله صلى الله عليه فقال ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
فمن تعظيم الملك وتجليله خفض الاصوات لحضرته واذا قام عن مجلسه
حتى لا يدخل الملك وهن ولا خلل ولا يقصر في صغير امر ولا جليله
وكانت ملوك الاعاجم تقول ان حرمه مجلس الملك اذا غاب كحرمته اذا حضر
وكان لها عيون على مجالسها اذا غابت عنها فحضرها وكان في كلامه واشارته
وقلة حركته وحسن الفاظه وادبه على مثل ما يكون اذا حضر الملك سمي ذا وجه

ومن كان على خلاف ذلك وظهر منه خلاف يظهر لحضرة الملك سمي ذا
وجهين وكان عند الملك منقوصا مقصيا ومن اخلاق الملك
ان يخلع على من ادخل عليه سرورا اما في خاصة نفسه واما في توكيد ملكه
فمن حقه ان يخلع عليه لحضرة العامة لينتشر بذلك له الذكر ويحسن به
الاحدوثة وتصلح عليه النيابة ويستدعي بذلك الرغبة الى توكيد
الملك وتسديد اركانه وليس من العدل ان يفرد المحسن بخلعة فقط
الا ان تكون الخلعة على شرب ولهو فاما اذا كانت لاحد المعنيين اللذين
قدمنا ذكرهما فمن العدل ان يكون معها جائزة وصلة او ترتيب او ولاية
او اقطاع او اجراء او ارزاق او فك اسير او حمل حملات او قضاء دين
او احسان كائنا ما كان مضافا اليها وموصولا بها

في صفة ندماء الملك

ينبغي ان يكون نديم الملك معتدل
الطبيعة معتدل الاخلاط سليم الجوارح والاعلاق لا الصفراء
تعلقه وتكثر حركته ولا الرطوبة والبلغم تنهمه وتكثر بوله

وتطيل نومه ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر اماينه وتفسد
مزاجه فاما الدين فليس يدخل في هذه الاقسام المذمومة
اذ بالبدن اليه حاجه كحاجته الى تركيبه وسلامته ومن حق
الملك اذا زامله بعض بطانته ان يكون عارفا بمنازل الطريق وقطع
المسافة دليلا بهدايته واعلامه ومناره قليل التثاوب قليل
النعاس والنوم والعطاس معتدل المزاج صحيح النية طيب المفاكهة
والمحادثة قصير الملالة عالما بايام الناس ومكارم اخلاقهم
عالما بالنادر من الشعر والسائر من المثل متصرفا في كل فن فداخذ
من الخير والشر بنصيب ان ذكر الآخرة ونعيم اهل الجنة حدثه
بما اعد الله لمن اطاعه من ثوابه فيرغبه فيما عنده وان ذكر النار
حذره ما قرب اليها فزهده مرة ورغبه اخرى فان بالملك اعظم الحاجة
الى من كانت هذه صفاته وبالحري اذا اصاب هذا الا يفارقه الا عن
امر ينقطع به العصمة وتجب به النقمة ومن حق الملك اذا خرج

لسمر او نزهة الا يفارقه خلع للكسوة اموال للصلات وسياط
للآداب وقيود للعصاة وسلاح للاعداء وحماة يكونون من ورائه
وبين يديه ومونس يفضي اليه بسره وعالم يسأله عن حوادث امره
وسنة شريعته وملّه يقص ليله ويكثر فوائده على هذا كانت ملوك
الاعاجم اولها وآخرها وملوك العرب لم تزل تمثل بهذا وتفعله
ولذمام الملك خلال يساون فيها الملك مرؤوس ليس فيها
نقص على الملك ولا صنعة منها اللعب بالكرة وطلب الصيد والرمي في
الاغراض واللعب بالشطرنج وما اشبه ذلك ومن الحق على
الملك ان لا يمنع ملاعبه ما يجب له من التصفح في هذه الاقسام التي
عددنا ومن الملاعب المساحة والمكالبة والمساواة والمعانقة
وترك الاعضاء والاخذ من الحق باقصى حدوده غير ان ذلك لا يكون
بذاؤة كلام رفث ولا معارضة بما يزيل حق الملك ولا صياح يعلو كلام
ولا لحز ولا قذف ولا ما هو خارج عن ميزان العدل وفيما يحكى عن سابور

انه لا عب تربًا له بالشطرنج امر مطاعه فقمر تربه فقال له سابور
ما امرتك قال اركبك حتى اخرج بك الى باب العامة فقال له
سابور بئس موضع الدابة وضعتك فرد غير هذا قال فهذا جرى
لفظي فاسف لذلك سابور وحام فدعا ببرقع فتبرقع فلما جاء
لتربه امتنع ان يعلو ظهر الملك اجلالًا له واعظاما فنادى سابور
بعد ذلك في الرعية لا يلعبن احد لعبه على حكم غائب فمن فعل فدمه
هدر فاذا كانت المساحة على طلب الحق في هذا الاقسام التي
ذكرنا بمعارضه الشعر وتوبيخ في مثل ونادر من الكلام واخبار
عن سوء لعب الملاعب وتاديب له فهذا مما يخاطب به الملك ويعارض فيه
فاما اذا خرج عن هذا فدخل في باب الجرأة كما فعل ترب سابور
فانه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه وليس
للرعية الجرأة على الراعي ومن حق الملك على الرجل اذا
ضرب معه بالكرة ان يتقدم بدابته على دابة الملك وصولجانه على

صولجان الملك وان يعمل جهده في الا يبخس حظه ولا يعين في مسابقته
ولا مراكضه ولا التفات كره ولا يسبق الى حد ونهاية وما اشبه ذلك
وكذلك القول في الرماية في الاغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج
سمعت محمد بن حسن بن مصعب يقول كان لي صديق من بني مخزوم
وكان يلاعبا الشطرنج فذكرته لابي العباس عبد الله بن طاهر فقال
احضره فقلت للمخزومي تهيأ للقاء ابي العباس وكان متقرفا كثير الادب
فعدت به فلما وقعت عين ابي العباس عليه وقف فراه من بعيد ثم
انصرف من غير ان يكلمه فقال له هذا رجل من اهل الادب فاعدته
ولاعبه بالشطرنج فحضرتي حتى لعبوه وعاتبه حتى خرج به الى باب
الهزل والشتيمة فلما قعدنا دارت لي عليه مزبة فقلت خذها وانا
الغلام البوشنجي وهو ساكت ثم دارت لي عليه مزبة اخرى فقلت
خذها يا بن مخزوم في حرم مخزوم فسكت واستؤذن لرجل من آل عبد
الملك بن صالح وكان خاصا بابي العباس فلما دخل الهاشمي وقعد قال المخزومي

ليس فى كل موضع شرف ولا عز فافاخرك انت بوشنجي ثمن دانق ولكن قل
لهذا الهاشمي يفاخرني حتى ينظر ما يكون حاله فما آنت فن انت حتى تفاخرك
فضحك ابو العباس حتى فحص برجله وامر له بخمس مائة دينار ومن
اخلاق الملك اذا غلبته عيناه ان ينهض من حضره من صغير او كبير بحركة
لينه خفيفة حتى يتوارى عن قرار مجلسه ويكون بحيث يعزبون منه (بالنوم)
ان انتبه ولا يقولن انسان في نفسه لعل الملك ان هب من سنته لا يسأل
عني او لعله ان يمتد به النوم او يعرض له شغل فان هذا من اكبر الخطأ
وقد قيل بعض الملوك رجلا في هذه الصفة وليس من الحزم ان يجعل
الحكيم للملك على نفسه طريقا وهو وان سلم من عزل الملك وآثمته لكرم
الملك وشيمه قدح ذلك في نفس الملك واضطغن عليه وبالحري لا يسلم
من عزل وتأنيب ومن حق الملك اذا حضرت الصلوة فالملك اولى
بالاقامة لخصال منها انه الامام والرعية مأمومة ومنها انه المولى
وهم العبيد ومنها انه اولى بالصلوة في داره وموطن بساطه ولو حضر

مجلسه ازهد الخلق واعلمهم فاذا قام للصلوة فمن حقه ان يكون بينه
وبين من يصلي خلفه عشرة اذرع والا يقتدي احد بركوع ولا بسجود
ولا تكبير ولا قيام وهذا وان كان يجب لكل مزاحم قواما من صغير او
كبير او شريف او وضيع فهو للملك اوجب فاذا سلم الملك فمن حقه ان
يقوم كل من صلى خلفه قائما فانهم لا يدرون ايريد تنفلا او دخولا
او قعودا في مجلسه فان قام لنافلة فليس من حقه ان ينتفلوا لانهم
لا يدرون لعله ان يسبقهم او يقطع صلاته لحدث فيكون تلحتاج ان يستقبلهم
وهم قيام يصلون بازائه وهو قاعد ولكن من حقه ان يكونوا بجانبهم حتى
يعلموا ما الذي يفعل فان قعد الحرفوا الى حيث لا يراهم فصلوا نوافلهم
وان دخل صلوا على مكانهم ومن حق الملك الا يبتدئه احد
بمسايرة وان طلب ذلك من يستحق منه المسايرة فالذي يجزيه من
ذلك ان يقف حيث يراه ويتصدى له فان اومى اليه سايره وان امسك
عن الايماء علم ان امساكه هو ترك الاذن له في مسايرته

ومن حقه اذا سايره ان لا يمس ثوبه ثوب الملك ولا يزيني دابته
من دابته ولا ينبغي ان يبتدئه بكلام وان كان لا يتوقى بلين عنان
دابته حتى يعرفه كيف شاء ومتى شاء فللراني له الا يسايره فان في
مسايرته وصمة عليه وعلى الملك اما عليه فانه يحتاج الى حركة متواترة
يتعب بها نفسه ودابته وتخرج بها عن حيز الادب والمروة والشرف
ولعله في خلال ذلك لا يبلغ ما يريد واما على الملك فانه وهن في المملكة
لان الملك ان طلب الصبر عليه وعلى سير دابته كان انما يسير ذلك بسيره
وليس في آيين المملكة ان يسير الاعظم بسير من هو دونه وفيما يحكى
عن قباذ انه بينا هو يسير والموبذ يسايره اذ رأت دابة الموبذ
وفطن له قباذ فقال للموبذ في كلام مومي اول ما يستدل به على سخف
الرجل ايها الموبذ قال ان يعلف دابته في الليلة التي يركب في صبيحتها
الملك فضحك قباذ حتى افتر عن نواجذه وقال لله انت ما احسن ما
ضمنت كلامك بفعل دابتك ونحق ما قدمك الملوك وجعلوا ازمة

احكامهم في يدك ووقف ثم دعا بدابة من خواص مراكبه وقال
له تحول عن هذا الجاني عليك الى ظهر هذا الطائع لك وهكذا يحكى
عن معاوية انه بينا هو يسير وشرجيل بن السمط يسايره اذ رأت
دابة شرجيل وكان عظيم الهامة بسيط القامة فغطن بروث
الدابة وساء ذلك شرجيل فقال معاوية يا ابا يزيد يقال ان الهامة
اذا عظمت دلت على وفور الدماغ وصحة العقل قال نعم يا امير المومنين
الا هامتي فانها عظيمة وعقلي ناقص ضعيف فتبسم معاوية وقال
ذاك لله انت قال الاطعامي لهذا النائل امه البارحة مكوكي شعير
فضحك معاوية وقال افحشت وما كنت فاحشا فحمله على دابته من مراكبه

فليتنكب من يساير الملوك ما تقذى عينه بكل جهد فان
لمسايرتهم شروطا تجب على من طلبها ان يستعملها ويحفظ ما فيها
وقل ما حظي احد بمسايرة ملك حتى يكون قبلها متقدمات تجب
بها الحظوة فاما نفس المسايرة للملك المتصلة فان الاعاجم كانت

تنظير منها وتكرهها وايضا فان الملك لم يكن يثابر على مسايرة
احد من بطانته بعينه لما كان يعلم من طيرتهم من ذلك وكراهتهم
له ويقال ان سعيد بن سلم بينا هو يسايرا المؤمنين موسى
وعبد الله بن مالك امامه والحربة بين يديه فكانت الريح تسفي
التراب الذي تثيره دابة عبد الله في وجه موسى وعبد الله
لا يشعر بذلك وموسى يحيد عن سنن التراب وعبد الله في خلال
ذلك يلحظه ويلحظ موضع مسير موسى فيطلب ان يحاذيه وان حاذاه
ناله من ذلك فقال لسعيد اما ترى ما يلقى من هذا الخائن في مسيرنا
هذا قال له امير المؤمنين والله ما قصر في الاجتهاد ولكنه حرم
التوفيق وفيما يذكر عن عبد الله بن عبد الله بن حسن انه بينا
هو يسايرا با العباس بظهر مدينة الانبار وهو ينظر الى بناء
قد بناه اذ قال ابو العباس هات ما عندك يا ابا محمد وهو يستطعمه
الحديث بالانس منه فانشده الم تر ما لكا لما تبنى بناء بقعة لبني

نقيله مؤمل ان يعمر عمر نوح وامر الله تحدث كل ليله
فتبسم ابو العباس كالمغضب وقال لو علمنا لا شترطنا حق المسايرة
فقال عبد الله يا امير المؤمنين نوادر الخواطر واغفال المسائح
قال صدقت خذني غير هذا وذكر المدايني ان عيسى بن موسى بينا
هو يسايرا با مسلم منصرفه الى ابي جعفر في اليوم الذي قتل فيه
انشد عيسى سيأتيكل ما فني القرون التي مضت وما حل في اكناف عاد وجرهم
ومن كان ادنى منك عزا ومفخرا وانهد بالجيش اللهام العرمرم
فقال ابو مسلم هذا مع الامان الذي اعطيت قال عيسى اعتق ما علك
ان كان هذا الشيء من امرك وما هو الا خاطر ابداه لساني قال يئس
والله الخاطر اذا ومن حق الملك الا يسمى ولا يكنى في جد ولا هزل
ولا انس ولا غيره ولولا ان القرآء من الشعراء كنت الملوك
وسمتهم في اشعارها واجارت ذلك واصطلحت عليه ما كان جزآء من كنى
خليفة او ملكا الا العقوبة على ان ملوك ساسان لم يكنهما احد

من رعايا ما قط ولا سماها في شعر ولا خطبة ولا تقريظ ولا غيره
وانما حدث هذا في ملوك الحيرة والدليل على ذلك انه لو سمى احد من الخطباء
والشعراء ملكا او خليفة وهو يخاطبه باسمه كان جاهلا ضعيفا
خارجا من باب الادب ولولا ان الاصطلاح منعنا من ايجاب
المنع من ذلك كان من اول ما يجب ولا ادري لم فعل القدماء ذلك كما
اني لا ادري لم اجازته تركها ورضيت به اذ كانت صفة الملوك ترتفع
عن كل شئ وترق عنه وكانت الخفاء من العرب تسوء ادبها
وغلظ تركيبها اذا التوا النبي صلى الله عليه وسلم خاطبوه ودعوه
باسمه وكنيته فاما اصحابه فكانت مخاطبتهم اياه يا رسول الله
ويا نبي الله وهكذا يجب للملوك ان تقال في مخاطبتهم يا خليفة
الله ويا امين الله ويا امير المؤمنين ومن حق الملك اذا دخل عليه
رجل وكان اسم ذلك الرجل الداخل احد صفات الملك فسأله عن اسمه ان يكني
عنه او كنى باسم ابيه كما فعل سعيد بن مرة الجندي حين اتى معاوية فقال له

الاصطلاح صحيح

انت سعيد فقال له يا امير المؤمنين انت السعيد وانا ابن مرة وكما
قال السيد بن الانس الازدي حين سأله المأمون فقال انت السيد
قال امير المؤمنين السيد وانا ابن انس وهكذا جاءنا الخبر
عن العباس بن عبد المطلب انه قيل له انت اكبر ام رسول الله
فقال هو اكبر مني وولدت انا قبله الا تراه كيف تخلص الى احسن
احوال الادب فاستعمله وعلى هذا المثال يجب ان تكون مخاطبة الملوك
اذ كانت صنعهم غير صنيع العامة كما قال اردشير في عهده الى الملوك
ومن حق الملك ان ينفرد في قرار داره بثلثة اشياء فلا يطمع
طامع ان يشركه فيها الحجامة والفصد وشرب الدواء فليس لاحد
من الخاصة والعامة ومن في قصبة دار المملكة ان يشركه في ذلك وكانت
ملوك الاعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول اذا اراق الملك دمه
فليس لاحد ان يريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوي في فعله بل على الخاصة
والعامة الفحص عن امر الملك والتشاغل بطلب سلامته وظهور عافيته

وكيف وجد عافيه ما يعالج به وليس الاقتداء بفعل الملك في هذا وما اشبهه
من فعل من تمت طاعته وصحت نيته وحسبت معونته لان في هذا
استهانة بامر الملك والمملكة ومن قصد الى ان يشرك الملك في شيء تجد عنه
مندوحة ومنه بد اتى بالمهمل المبسوط والايام الممدود فهو عاص مفارق
للشريعة ومن حق الملك اذا عطس ان يشمت واذا دعا لم يؤمن
على دعائه وكانت ملوك الاعاجم تقول حقيق على الملك الصالح ان يدعو للرعية
الصالحة وليس حقيقا للرعية الصالحة ان تدعو للملك الصالح لان اقرب
الدعاء الى الله دعاء الملك الصالح ومن حق الملك الا يعزيه احد
من حاشيته وحامته واهل بيته وانما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة
اولمن قارب الملك في العز والسلطان والبهاء والقرابه فاما من دون
هؤلاء فينهون عن التعزية اشد النهي ومما يذكر من عبد الملك
انه مات بعض بنيه وهو صغير فجاء الوليد فعزاه فقال يا بني مصيبتي
منك اقدح في بدني من مصيبتي باخيك ومتى رايت ابنا عزى اباه

قال يا امير المؤمنين انما مرتني بذلك قال يا بني اهون علي
وهذا لعمري من مشورة النساء ومن اخلاق الملك سرعة
الغضب وليس من اخلاقه سرعة الرضى فاما سرعة الغضب فانها تاتي
الملك من جهة دوام الطاعة وذلك لانه لا يرى (الرضاء) ويرى في سمعه ما يكره
طول عمره فاذا الفت النفس هذا العز الدائم صار احد صفاتها
فمتى فرع حتى النفس بما لا يعرفه في خلقها نفرت منه نفورا سريعا
فظهر الغضب نفثة وحمية فاما رضى الملك فبطيء جدا لانه
شيء يمانعه النفس ان يفعله ويدفعه عن نفسها اذ كان في ذلك حبس
من اجناس الاستهزاء او خلق من خلق العامة وهكذا يحكى
عن ابي العباس انه غضب على رجل فذكر ليلة من الليالي فقال له بعض
سماره يا امير المؤمنين ان فلانا لو رآه احد خلق الله له لرحمه
وانعصر له قلبه قال ولم ذاك قال لغضبك امير المؤمنين عليه قال
ما له من الذنب ما بلغ به العقوبة هذا الموضع قال فمن علمه يا امير المؤمنين

انك لما صغرت ذنبه طمعت في رضاك عنه قال انه لم يكن بين غضبه
ورضاه مدة طويلة لم يحسن ان يغضب ولا يرضى وعلى اخلاق الملوك
وصنيعتهم وكذا فعل الرشيد في عبد الله بن مالك الخزاعي حين
غضب عليه فامر اهله وحشمه وجميع قرابته ان يجتنبوا كلامه
وخدمته ومعاطاته حتى اثر ذلك في نفسه وبدنه فتحاماه اقرب
الناس منه من ولد واهل فلم يدن منه ولم يطف به فجاءه محمد بن ابرهيم
الهاشمي وكان هو احد اوداءه في جوف الليل فقال له يا ابا العباس
ان لك عندي يدا لا انساها ومعروفا ما اكفره وقد علمت ما تقدم
امير المؤمنين في امرك وها انا ذا بين يديك ونصب عينيك فمرني بامرك
فوالله لاجعلن نفسي وقاية لك واسيمها في كل ما نكاها وجرحها فقال له
عبد الله خيرا واثنى عليه واخبره بعذره في موجدة امير المؤمنين عليه
فوعده محمد ان يكلم امير المؤمنين ويخبره باعتذاره فلما اصبح محمد
وافاه رسول امير المؤمنين فركب فلما دخل عليه قال من اين اتيت

في هذه الليلة قال عبدك عبد الله بن مالك وهو يحلف بطلاق نسائه
وعتق مماليكه وصدقة ماله مع عشرين نذرا يديها الى بيت الله
الحرام حافيا راجلا والبراءة من ولاية امير المؤمنين ان كان ما بلغ
امير المؤمنين سمعه الله من عبد الله بن مالك او اطلع عليه او هم به
او اضمره او اظهره قال فاطرق الرشيد مليا مفكرا وجعل محمد يلحظه
ووجهه يسفر ويشرق وكان قد حال لونه حين دخل عليه ثم رفع رأسه
فقال احسبه صادقا يا محمد قم بالرواح الى الباب قال واكون معه
قال نعم فانصرف محمد الى عبد الله فبشره بجميل رايه وامره بالركوب
رواحا فدخل ودخل معه فلما بصر عبد الله بالرشيد الخرف نحو القبلة
فخر ساجدا ثم رفع راسه فاستدناه الرشيد فدنا وعيناه تهملان فاكب
عليه وقبل رجله وبساطه وموطئ قدميه ثم طلب ان ياذن له في الاعتذار
فقال ما بك حاجة الى ان تعتذر اذا عرف عذرك قال وكان عبد الله
بعد اذ دخل على الرشيد راى فيه بعض الاعراض فشكا ذلك الى محمد بن ابرهيم

فقال محمد يا امير المؤمنين ان عبد الله يشكو اثرا باقيا من تلك الشقوة
التي كانت من امير المؤمنين ويسأل الزيادة في بسطه له فقال يا محمد
انا معشر الملوك اذا غضبنا على احد من بطانتنا ثم رضينا عنه بعد
ذلك يبقى لتلك الغضبة اثر لا يخرجه ليل ولا نهار ومن حق الملك
ان يكتم اسراره عن الاب والام والاخ والزوجة والصديق فان
الملك يحتمل كل منقوص ولا يحتمل ثلثة صفة احدهم ان يطعن في ملكه
وصفة الآخر ان يذيع اسراره وصفة الآخر ان يخونه في حرمه
فاما من ورآء ذلك فمن اخلاق الملوك ان يلبس خاصتها ومن قرب
منها وان يسمع منهم اذا سلموا من هذه الصفات الثلث وكان كسرى
ابروين يقول يجب على الملك السعيد ان يجعل همه كله في امتحان اهل
هذه الصفات اذ كانت اركان الملك ودعائمه فكانت محنته في اذاعة
السر عجيبة وللعاقل ان يقول انها خارجة من باب العدل داخلة في
باب الظلم والجور وللآخر ان يقول انما محن الحكماء من الملوك وكان

اذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته التحاب والالفة
والاتفاق في كل شيء وعلى كل شيء خلا باحدهما فافضى اليه بسر
في الآخر واعلمه انه على قتله وامره بكتمان ذلك عن نفسه فضلا عن
غيره وتقدم اليه في ذلك بوعيد ثم جعل محنته في اذاعة سره ملاحظة
صدقه في دخوله عليه وخروجه من عنده وفي اسفار وجهه ولقائه
للملك فان وجد اخرام يحاوله في احواله على ان الآخر لم يفض اليه
بسره ولم يظهر عليه قربه ورفع مرتبته وحبأه ثم خلا به فقال
اني كنت اردت قتل فلان لشيء بلغني عنه فبحث عن امره فوجدته
باطلا وان رأى من صاحبه نفور نفس وازورار جانب واعراض
وجه علم انه قد اذاع سره فاقصاه واطرحه وجفاه واخبر صاحبه
انه اراد محنته بما اودعه من سره فان كان هذا من اهل المراتب وضع
مرتبته وان كان من الندماء امر ان تحجب عنه وان كان من اصحاب
الاعمال امر ان لا يستعان به وان كان من سدنة بيوت النيران

امر بعزله واسقاط ارزاقه ويقول من لم يصلح لملكه لا يصلح لنفسه
ومن لم يصلح لنفسه فلا خير عنده ويقول ان القلب اعدل على القلب
شهادة من اللسان وقل شيء يكون في القلب الا ظهر في العينين اذ
كانت الاعضاء مشتركة يتعلق بعضها ببعض فاما محنته في الحرم
فكان اذا خف الرجل على قلبه وقرب من نفسه وكان عالما يظهر التأله
وكان عنده ممن يصلح للامانة في الدماء والفروج والاموال على ظاهره
احب ان يمتحنه بمحنة باطنه فيامر ان يحول الى منزله وان يفرغ له
بعض حجر ولا يحول اليها امراة ولا جاريه ولا حرمه يقول اني احب
الانس بك في ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك فطعل عني وقطعني
عنك فاجعل منصرفك في كل خمس ليال ليلة الى نسائك فاذا تحول الرجل
وآنسه وخلا به وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحال
اشهر افا ممتحن رجلا من خاصته بهذه المحنة في الحرم ثم دس اليه
جارية من خواص جواريه ووجه معها اليه بالطاف وهدايا وامرها

ان لا تقعد عنده في اول ما تاتيه فلما انته بالطاف الملك
فلم تلبث ان انصرفت حتى اذا كان المرة الثانيه امرها ان تقعد
هنيهة وان تبدي بعض محاسنها حتى يتأملها ففعلت ولاحظها
الرجل وتأملها ثم انصرفت فلما كانت المرة الثالثة امرها ان تقعد
عنده وتطيل القعود وتحادثه وان اراد ها على الزيادة في
المحادثة اجابته ففعلت وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسرّ
بحديثها ومن شان النفس ان تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطالب
فلما ابدا ما عنده قالت اني اخاف ان يعثر علينا احد ولكن دعني
ادبر في هذا ما يتم به امرنا فانصرفت فاخبرت الملك بما دار
بينهما فوجه اخرى من خاص جواريه بالطافه وهداياه فلما
جاءته قال ما فعلت فلانه قالت اعتلت فاربدّ لون الرجل ثم
لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى في المرة الاولى ثم
عاودته بعد ذلك ففعلت اكثر من مقدار الاول وابدت

بعض محاسنها حتى تأملها وعاودته في المرة الثالثة واطالت عنده
التعود والمضاحكة والمهازلة فزعاها الى ما في تركيب النفس
من الشهوة فقالت انا مزالملك على خطأ يسير ومعه في دارٍ واحدةٍ
ولكن الملك مضى بعد ثلث الى بستانه الذي بموضع كذا وكذا
فيقيم هناك فان اراد ان يركب معه فاظهر انك عليل وان
خيرك بين الانصراف الى دورنسائك او المقام ههنا الى رجوعه
فاختر المقام واعلمه ان الحركة تصعب عليك فاذا اجابك الى ذلك
جئت في اول الليل فلبثت عندك الى آخره فسكن الرقيع الى هذه
الانسة وانصرفت الجارية الى الملك فاخبرته بكل ما دار بينها
وبينه فلما كان في الوقت الذي وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه
الملك فقال للرسول اخبره اني عليل فلما جاءه الرسول فاخبره
تبسم ابروين وقال هذا اول الشر فوجه اليه بمحفة فحمل فيها اليه
فاتاه وهو معصب الرأس فلما بصر به من بعيد قال والعصابة

الشر الثاني وتبسم فلما دنا من الملك سجد فقال ابروين متى
حدثت بك هذه العلة قال في هذه الليلة قال فاي الامرين
احب اليك الانصراف الى منزلك ونسائك لتمرضك او المقام
ههنا الى وقت رجوعي قال ههنا ايها الملك ارفق بي لعلة
الحركة فتبسم ابروين وقال ما صدقت حركتك ههنا ان خلعتك
اكثر من حركتك في منزلك ثم امر ان يخرج عصا الزيانة التي كان
يوسم بها من زنى فايقن الرجل بالشر وامر ان يكتب ما كان من
امره حرفاً حرفاً فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى اقصى
حد المملكة ويجعل في راس رمح يكون معه حيث كان ليحذر منه
من لا يعرفه فلما اخرج الرجل عن الدار متوجها نحو فارس
اخذ مزبة ليجب بها ذكره وقال من اطاع عضوا صغيرا افسد عليه
اعضاءه كلها فمات من ساعته وكان قد نصب رجلا يمتحن
به من فسرت نيته وطعن في المملكة فكان الرجل يظهر التأله

والدعاء الى التخلي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك ابواب
الملوك وكان يقص على الناس ويبكيهم ويثوب في خلال ذلك
كلامه بالتعريض لذم الملك وترك شرائع ملته وسنن دينه وهذا
الرجل الذي نصبه لهذا الخوض من الرضاعة وتربّبه في الصبا
فكان اذا تكلم هذا الرجل لهذا الذي قد مثله له ابرويز وامره
به ليمتحن بذلك خاصته اخبر به فيضحك ويقول فلان في عقله
ضعف وانا اعلم به وان كان كذلك فانه لا يقصدني بسوء ولا
المملكة وما يوهنها فيظهر الاستهانة بامره والثقة من الطمأنينة
اليه ثم توجه اليه في خلال ذلك من يدعوه اليه فيأبى ان يجيبه
ويقول لا ينبغي لمن خاف الله ان يخاف احدا سواه قال فكان
الطاعن على الملك والمملكة يكثر الخلوة بهذا الرجل في الزيارة
له فاذا خلوا تذاكروا امر الملك وابتدأ الناسك بالطعن في
الملك والمملكة فاعانه الخائن وطابقه على ذلك وشايعه عليه فيقول له

الناسك اياك ان يظهر هذا الخائن على كلامك فانه لا يحتمل لك ما يحتمله لي
فخصّ منه ومكر فيزداد الآخر اليه استنامة وبه ثقة فاذا علم الناسك
انه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة قال له
اني قاعد غدا مجلسا للناس اقص عليهم فاحضر فانك رقيق القلب
عند الذكر حسن النية ساكن الريح بعيد الصوت فان الناس اذا
رأوك قد حضرت مجلسي زادت نياتهم خيرا وسارعوا الى استجابتي
فيقول له الرجل اني اخاف هذا الجبار فلا تذكره ان حضرت مجلسك
وكانت العلامة فيما بينه وبين ابرويز ان ينصرف الرجل عن مجلس
الناسك فاذا ابتدئ في قصته الملك وكان ابرويز قد وضع عيونا لحضر
مجلس الناسك فقص على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة
وحضر الرجل الخائن فلما فرغ من قصصه واخذ في ذكر الملك نهض
الرجل وجاءته عيون ابرويز فاخبرته بما كان فازال الشك عنه
في امره فوجهه الى بعض البلدان وكتب الى عامله قد وجهت اليك رجلا

وهو قادر عليك بعد كما في هذا في كذا وكذا فاظهر بشر والانس به والثقة
بناحيته فاذا اطمأنت به الدار فاقله قتلة تحيي بها بيت النار
وتصل بها حرمه النوبهار فانه من فسدت نيته لغير علة صلحت
بخلافها ومن اخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في القلب ولا يخرج
المال ولا يضع من العز ويزيد في الابهة وعلى ذلك ملوك آل ساسان
وفيما يحكى عن بهرام جور انه خرج يوما لطلب صيد فعارته
فرسه حتى وقع الى راعي تحت شجرة وهو جالس فقال للراعي احفظ
علي عنان فرسي حتى ابول فاخذ بركابه حتى نزل واخذ بعنان
الفرس وكان عنانه ملبسا ذهبا فوجد الراعي غفلة من بهرام فاخرج
من خفه سكينا فقطع به اطراف اللجام وجعل الرجل يفرح بابطائه
عنه حتى اذا ظن انه قد اخذ حاجته من اللجام قام فقال يا راعي قدم
الي فرسي فانه قد دخل في عيني ما في هذا الرجل فما اقدر على فتحها
وغمض عينه لئلا يوهمه انه يفقد حلية اللجام فقرب الراعي فرسه

فركبه فلما ولى قال له الراعي ايها العظيم كيف اجد الى موضع كذا
وكذا الموضع بعيد قال بهرام وما سؤالك عن هذا الموضع قال
هناك منزلي وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا ولا اراني
اعود اليه فضحك بهرام وفطن لما اراد فقال انا رجل مسافر وانا احق
بان لا اعود الى ههنا ابدا ثم مضى فلما نزل عن فرسه قال لصاحب
دوابه ومراكبه ان معا لبق اللجام قد وهبتها لسائل مر بي فلا
توهمن احدا وهكذا يحكى عن انوشروان انه قعد ذات
يوم في نيروزا ومهرجان ووضعت الموائد ودخل وجوه الناس
الايوان على طبقاتهم ومراتبهم وقام الموكلون بالموائد على رؤس
الناس وكسرى لحيث يراهم فلما فرغ الناس من الطعام جاؤا بالشراب
في آنية الفضة وجامات الذهب فشرب الاساورة واهل الطبقة العالية
في آنية الذهب فلما انصرف الناس ورفعت الموائد اخذ بعض اولئك
القوم جام ذهب فاخفاه في قباه وانوشروان يلحظه فصرف وجهه

عنه وافتقد صاحب السراب الجام فصاح لا يخرجن احد من الدار حتى
يفتش فقال كسرى لا تعرض لاحد واذن للناس فانصرفوا فعال صاحب
السراب ايها الملك انا فقدنا بعض آنية الذهب فقال الملك صدقت
اخذها بعض من لا يردها عليك وقد رأه من تنم عليه وانصرف الرجل
بالجام وهكذا فعل معوية في يوم عيد وقد قعد للناس ووضعت
الموائد وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلات فجاء رجل من
الجماعة والناس ياكلون فقعد على كيس فيه دنانير فصاح به الخدم
شيخ فليس هذا لك بموضع تسمع معوية فقال دعوا الرجل حيث ينتهي
به المجلس فاخذ كيسا فوضعه بين بطنه وخرقه سراويله وقام فلم يجسر
احد يدنو منه فقال الخادم اصلح الله امير المؤمنين انه قد نقص من
المال كيس دنانير فقال له انا صاحبه وهو لك محسوب وهذه
اخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم وانما يتعقد من هذا من دون
الملك واما الملك فيجل عن كل شيء ويصغر عنده كل شيء والعامة تضع

هذا واشباهه في غير موضعه وانما هو شيء القاه الشيطان في قلوبهم
واجراه على السنتهم حتى قالوا في نحو من هذا في البائع والمشتري المغبون
لا يحجر ولا ماجور فحملوا الجهلة على المنازعة للباعة والمشاتمة
للسفلة والسوقة والمفارقة للزعاع والوضعاء والنظر في قيمة حبة
والاطلاع في لسان الميزان وبالحري ان يكون المغبون محجورا وماجورا
اللهم الا ان يكون قال له اغبني بل لو قالها لكانت اكرومة وتفضيلا
وفعله جميلة تدل على كرم عنصر القائل وطيب مركبه ولذلك قالت
العرب السر والتغافل وانت لا تجد ابدا احدا يتغافل عن ماله الا
وجدت له في قلبك فضيلة وجلالة ما تقدر على دفعها وهكذا ادبنا
نبينا صلى الله عليه وسلم رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع وهذا
الادب خارج من قولهم المغبون لا يحجر ولا ماجور وقال معوية
اني لاجرذ بلي على الخرائع وقال الحسن المؤمن لا يكون مكاسا
وفيما يحكى عن سليمن بن عبد الملك انه خرج في حيق ابيه لمتنزهه

بنسط له في صحراء فتغدّى مع جماعة فلما حان انصرافه تشاغل غلمانه بالرّحال
وجاء اعرابي فوجد منهم غفلة فاخذ دواج سليمن فرمى به على عاتقه وسليمن
ينظر اليه فبصر به بعض حشمه فصاح به الق ما عليك فقال الاعرابي
لا لعمري لا القيه ولا اكرامه هذا كسوة الامير وخلعته فضحك سليمن
وقال صدق انا كسوته فمرّ كأنّه اعصار الرّيح واحسن من هذا ما
فعل جعفر بن سليمن بن علي بالامس وقد عثر برجل سرق درّة رائعة
اخذها من بين يديه فطلبت بعد ايّام فلم يوجد فباعها الرّجل ببغداد
وقد كانت وضعت لاصحاب الجوهر فاخذ وحمل الى جعفر فلما بصر به
استحيا منه فقال الم تكن طلبت هذه الدرّة منّي فوهبتها لك قال بلى
قال لا تعرّضوا له فباعها بمأتي الف درهم ومن اخلاق الملك
اكرام اهل الوفاء والاستنامة اليهم والثّقة بهم والتّقدم لهم على الخاصّ
والعامّ والحاضر والبادي وذلك انه ما في الانسان فضيلة اكثر ولا
اعظم قدرًا ولا انبل فعلا من الوفاء وليس الوفاء شكر اللسان فقط لان

شكر اللّسان ليس لاحد منه مؤنة واسم الوفاء مشتمل على خلال فمنها
ان يذكر الرّجل من انعم عليه لحضرة الملك فيردّونه وان كان الملك
فيه سيّئ الرّأي فليس من الوفاء ان يغيبوه على سوء رأيه فان خاف
سوط الملك وسيفه فاحسن صفاته ان يمسك عن ذكر الخير او شرّ
ومنها المواساة للصّاحب في المال حتى يقاسمه الدّرهم بالدّرهم
والنّعل بالنّعل والثّوب بالثّوب ومنها الحفظ له في خلقه وعياله
ما كان في الدّنيا حتى يجعلهم اسوة عياله في الجدب والخصب ومنها
الشكر له باللّسان والجوارح وكانت ملوك الاعاجم اوّلها وآخرها لا تمنع
احدا من خاصّتها وعامّتها شكر من انعم عليها وعلى احد منها وتقريظه وذكر
نعمه واحسانه وان كانت الشّريعة قد قتلته والملك قد سخط عليه بل
كانوا يعرفون فضيلة من ظهر ذلك منه ويأمرون بصلته وتعهّده ويقال
ان قباد امر بقتل رجل كان من الطّاعنين على المملكة فقتل فوقف على راسه
رجل كان من جيرانه فقال رحمك الله ان كنت ما علمت تكرم الجار وتصبر على

اذاء وتواسي اهل الحاجه وتقوم بالنائبة وتعجب كيف وجد الشيطان
فيك مساغا حتى حملك على عصيان الملك فخرجت من طاعته المفروضه معصيته
وورد عما يمكن ممن اشد منك قوة وابث عزما فاخذ الرجل صاحب الشرطة
فحبسه فانتهى كلامه الى قباد فوقع قباد تحسن الى هذا الذي شكر احسانا
نغل به وترفع مرتبته ويزاد في عطائه وهكذا فعل سعيد بن
عمرو بن جعدة بن هبيرة حين حمل رأس مروان الى ابي العباس بالكوفه
فقعد له مجلسا وجاؤا بالرأس فقام سعيد بن عمرو بن جعدة فاكب عليه قياما
طويلا ثم قال هذا رأس ابي عبد الملك حليفنا بالامس رحمه الله وعاد الى
مجلسه فقعد فوثب ابو العباس فطعن في حجره وانصرف ابن جعدة الى منزله
وتحدث الناس بكلامه فلامه بنوه واهله وقالوا عرضتنا ونفسك للبوار
فقال اسكتوا قبحكم الله الستم الذين اشاروا علي بالامس بنجران بالتخلف
عن مروان ففعلت في ذلك غير فعل اهل الوفاء والشكر وما كان ليغسل عني
عار تلك الفعلة الا هذه فانما انا شيخ هامر فان نجوت يومي هذا من القتل

مت غدا قال فجعل ينوم يتوقعون رسل ابي العباس ان تطرقه في جوف
الليل فاصبحوا ولم يأته احد وغدا الشيخ فاذا هو بسليم بن مجالد فلما
بصر به قال يا ابن جعدة الا ابشرك بجميل رأي امير المؤمنين انه ذكر
في هذه الليلة ما كان منك فقال والله ما اخرج ذلك الكلام من الشيخ الا
الوفاء ولهو اوجب منا قرابة وامس منا رحما منه بمروان ان احسنا
اليه قال اجل والله وهكذا فعل قيس بن سعيد بن عباده
بمعوية حين دعاه الى مفارقة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم
والدخول في طاعته فكتب اليه قيس يا وثن بن وثن تكتب الي تدعوني
الى مفارقة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم والدخول في طاعتك
وتخوفني تفرق اصحابه عنه واقبال الناس عليك واحفالهم اليك
فوالذي نفس قيس بيده لو لم يكن له غيري ولم يبق لي غيره ما سالمتك
ابدا وانت حزبه ولا دخلت في طاعتك وانت عدوه ولا اخترت عدوا لله
على وليه ولا حزب الشيطان على حزب الله والسلم وفي سيرة

الاسكندر ذى القرنين انه لما قصد نحو فارس تلقّاه جماعة من اساورتهم
برأس ملكهم يتقرّبون اليه به فامر بقتلهم لشوء رعيهم وقلّة شكرهم
لملكهم ومن انعم عليهم وقال من غدر بملكه كان بغيره اغدر وفي
يحكى عن شيرويه ان رجلا من الرعيّة وقف له يوما وقد رجع من الميدان
فقال الحمد لله الذي قتل ابرويز على يدك وملّكك ما كنت احقّ به
واراح آل ساسان من جبروته وعتوّه وبخله ونكده فانّه كان ممّن
يأخذ بالاحنة ويقتل بالظنّ ويحيف البريء ويعمل بالهوى فقال
شيرويه احملوه الىّ فحملوه فقال كم كانت ارزاقك في حياته قال كنت
في كفاية من العيش قال فكم ارزاقك اليوم قال لا ازيد في رزقي شيء
قال فهل وترك ابرويز فانتصرت منه بما سمعت من كلامك قال لا
قال فما دعاك الى الوقوع به ولم يقطع عنك مادّة رزقك ولا وترك
في نفسك وما للعامّة والوقوع في الملك وهم رعيّة فامر ان ينزع لسانه
من قفاه وقال ما يحقّ ما يقال انّ الحزم خير من البيان في الايجب

وحدّثني الصبّاح بن خاقان قال حدّثني ابي قال انّ ابا جعفر
لما اُتي برأس ابرهيم بن عبد الله فوضع بين يديه جاء بعض اولئك
الروديّة فضرب الرأس بعمود كان في يده فقال المنصور للمسيّب
سوّ وجهه فدقّ المسيّب انفه قال يا ابن اللخناء تجيء الى راس ابن عمّي
وقد صار الى حال لا يدفع ولا ينفع فتضربه بعمود كانّك رأيته
وهو يريد نفسي فدفعته عنّي اخرج الى لعنة الله واليم عذابه
ويقال انّ ابا جعفر وجّه الى شيخ من اهل الشام كان من بطانة
هشام فسأله عن تدبير هشام في بعض حروبه الخوارج فوصف له
الشيخ ما دبّر قال فعل رحمه الله كذا وصنع رحمه الله كذا فقال المنصور
قم عليك لعنة الله تطأ بساطي وترحّم على عدوّي فقام فقال وهو مولّ
انّ نعمة عدوّك لقلادة في عنقي لا انزعها الّا غاسلي فقال المنصور
ارجع يا شيخ فرجع فقال اشهد انك لفيض حرّة وغراس شريف عُد
الى حديثك فعاد الشيخ الى حديثه حتّى اذا فرغ دعا له بمال ليأخذه

فقال والله يا امير المؤمنين ما بي اليه من حاجة ولقد مات عني مركنت
في ذكر آنفا فما احوجني الى وقوف على باب احد بعده ولولا جلالة
عز امير المؤمنين واثار طاعته ما لبست لاحد بعده نعمة فقال المنصور
متى اذا شئت فالله انت فلو لم يكن لقومك غيرك كنت قد ابقيت لهم
مجدا مخلدا ويقال ان الرجل كان من شيبان ومن حق الملك اذا حضره
سمّاره او محدّثوه الا يحرك احد منهم شفتيه مبتدئا ولا تقطع حديثه
باعتراض وان كان ناداشميا وان يكون غرضه حسن الاستماع
واشغال الجوارح لحديثه فاذا فرغ من الحديث فنظر الى بعضهم اذن
له ان يحدثه بنظير ذلك الجنس من الحديث وليس له ان يأخذ في غير
جنس حديثه فاسمع عني او افهم عني او ياهناه اولا ترى ان هذا
وما اشبهه عني من يامله وحشو في كلامه وخروج بربط اللسان
ودليل على الندامة وليكن كلامه كلاما مسهلا والفاظه عذبة متصلة
وسقط كلامه قليلا فاذا فرغ من الحديث فليس له ان يصله لحديث آخر

وان كان شبيها بالحديث الاول حتى يرى ان الملك قد اقبل عليه بوجهه
واصغى الى حديثه بشغل يعرض له ان يمر في حديثه وان يصل كلامه
فيحتاج الملك الى الاصغاء اليه ويحتاج الى التشاغل عما عرض له فيجمع
عليه امرين فان هذا سخف من فاعله وخروج من الادب ولكن لينصت
مطرقا فان اتصل شغل الملك ترك الحديث وان انقطع ينظر اليه فقد
اذن له في اتمامه واعادته ومن حق الملك الا يضحك من
حديثه اذا حدث لان الضحك يخفر الملك جرأة عليه ولا يظهر التعجب
بغائر حديثه وانما هذا الى الملك فان ضحك الملك من حديثه واظهر
السرور به فذاك غرض من حديثه واليه وان سكت فلم يكن في الحديث
ما يلهيه ويطربه او يستفيد منه فائدة فقد سلم من العيب اذا لم
يضحك ولم يعجب ومن حق الملك الا يعاد عليه الحديث مرتين
وان طال بينهما الدهر وغبرت بينهما الايام الا ان يذكره الملك
فان ذكره فهو اذن منه في اعادته وكان روح بن زنباع يقول

اقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة من ايامه ما اعدت عليه حديثًا
وكان ابو العباس يقول ما رايت احدا اغزر علما من ابي بكر الهذلي لم
يُعد علي حديثا قط وكان الشعبي يقول حدثت المنصور باكثر من عشرة
الف حديث فقال لي ليلة وقد حدثته عن يوم ذي قار قد اضطررت
الى التكرار يا ابن عباس قلت ما هذا منها يا امير المؤمنين قال اما تذكر
ليلة الرعد والامطار وانت تحدث عن يوم ذي قار قلت لك ما يوم
ذي قار باصعب من هذه الليلة وكان الشرقي بن القطامي يعيد
الحديث مرارًا وذلك اذا كثر احاديثه مضاحيك وكان يعجب المهدي
فيستعيده وكان ابن دأب اذا حدث موسى امير المؤمنين اعاده
عليه في القابلة حتى يحفظه ويقال انه لم يسامر الخلفاء احد كان ابنل
من عيسى بن داب ولا اتم صنعة ولا احسن الفاظًا ولا افكه مجلسًا
ولا اعظم ابهة وقدرًا منه وكان عيسى بن دأب يتكلم في مجلس
امير المؤمنين ولم يكن هذا لاحد غيره ويحكى ان روح بن زنباع مرض

فكان يدعو له عبد الملك بن مروان بمتكأ وعلى المحدث للملك
الا يعجل في كلامه ولا يشير بيديه ولا يحرك رأسه ولا يرجف عن مجلسه
ولا يراوح بين قعدته ولا يرفع صوته ولا يرتفع عينا ولا شمالا ولا
يقبل على غير الملك بملاحظته ولا يكون غرضه ان يسمع حديثه او يفهم
عن سواه ومن حق الملك اذا تثاوب او لقي المروحة او مد رجليه
او تمطى او اتكأ او كان في حال فصار الى غيرها ان يدل على كله ووقت قيامه
ان يقوم من حضره وكان ارد شير بن بابك اذا تمطى قام سماره
وكان ارد وان الاحمر اذا وقت من الليل وساعات تخصى فاذا مضت
جاء الغلام بنعله فقام من حضره وكان بستاسف اذا دلك عينيه
قام من حضره وكان يزدجرد الاثيم اذا قال شب بشد قام
سماره يقول ذهب الليل وكان بهرام جور اذا قال خرم خفتاذ
قام سماره وكان قباد اذا رفع راسه الى السماء قام سماره
وكان انوشروان اذا قال قرت اعينكم قام سماره وكان عمر بن الخطاب

اذا قال الصلوة قام سمار وكان ينهى عن السمر بعد صلوة العشاء
وكان عثمن اذا قال العز لله قام سماره وكان معاوية اذا
قال ذهب الليل قام من حضره وكان عبد الملك اذا اتى المخضرم قام
من حضره وكان الوليد اذا قال استودعكم الله قام من حضره
وكان الهادي اذا قال سلام عليكم قام من حضره وكان الرشيد
اذا قال سبحانك اللهم وبحمدك قام سماره وكان المعتصم اذا نظر
الى صاحب النعل قام من حضره وكان الواثق اذا مس عارضه وتثاءب
قام سماره غير ان بعض من ذكرنا كان ربما قام لجنس الاشارة والكلام
وانما اضفنا الى كل واحد منهم اغلب افعاله كانت عليه ومن حق الملك
الايعاب عند احد صغير ولا كبير غير ان من اخلاقها التحريش بين اثنين
والاغراء بينهما فمن الملوك من يدبر في هذا تدبيرا نجب في السياسة
وذلك انه يقال قل اثنان استويا في منزلة عند الملك والجاه والعز
والحظوة عند السلطان فاتفقا الا كان ذلك الاتفاق وهنا على المملكة

المخضرم كالمتوكل وكل
ما اختص الان بالمعتضد فانه
من عصا وغويها

والملك وفسادا في تدبيره وذلك انهما اذا اتفقا وهما وزيرا الملك
كانا متى شاءا ان ينقضا ما ابرم الملك ويحلا ما عقد ويوهنا ما اكد
قدرا على التوغر باتفاق المجامعة ومتى انفصلا حتى يتباينا او يتجاريا كان
شانهما اثبت في نظام الملك واوكد في عز المملكة وكان متى اراد هذا
شيئا اراد الاخر خلافه فاذا تباينا في انفسهما اجتمعا على نصيحة الملك شاءا
ام ابيا واثرهما كل واحد منهما على هوى نفسه فانتظم للملك تدبيره وتم
له امره ومن الملوك من لا يقصد الى هذا ولا يكون غرضه
الا غراء بين وزرائه وبطانته لهذه العلة بل ليعرف معايب كل واحد
منهما فان معرفة ذلك تقطع الوزير على الانبساط في حوائجه ومن
الحق على الملك ان يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج ذا بيان وعبارة
بصيرا بمخارج الكلام واجوبته مؤديا الالفاظ الملك ومعانيها صادق
اللهجة لا يميل الى طمع ولا طبع حافظا لما حمل وعلى الملك ان يمتحن
رسوله محنة طويلة قبل ان يجعله رسولا وكانت ملوك الاعاجم

اذا اثرت ان تختار من رعيتها من تجعله رسولا الى بعض ملوك الامم فتحنه
اولا بان توجهه رسولا الى خاصة الملك وترى قراره في رسائله
وتقدم عينا له على الرسول تحضر رسالته ويكتب كلامه فاذا رجع الرسول
بالرسالة جاء العين بما كتب من الفاظ الرسول فان اتفقتا واتفق معانيها
عرف بها الملك صحة عقله وصدق لهجته ثم جعله الملك رسولا الى عدوه وجعل
عليه عينا يحفظ الفاظه ويكتبها ثم يرفعها الى الملك فان اتفق كلام الرسول
وكلام عين الملك وعلم ان رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتزيد عليه للعداوة
بينهما جعله رسولا الى ملوك الامم ووثق به ثم كان بعد ذلك لا يقيم خبر مقام
الحجة وكان ارد شير يقول كم من دم قد سفكه الرسول بغير حله
وكم من جيوش قد قتلت وعساكر قد هزمت وحرمة قد انتهكت وعهد
قد نقض بجناية الرسول واكاذيبه وكان يقول على الملك اذا وجه رسولا
الى ملك آخر ان يردفه بآخر وان وجه رسولين اتبعهما باثنين وان
امكنه الا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقاة ولا يتعارفان فيتواطئان

ثم عليه ان اتاه رسوله بكتاب او رسالة من ملك او خبرا او شرا الا يتحدث
في ذلك خبرا او شرا حتى يكتب اليه مع رسول آخر يحكي له كتابه الاول
حرفا حرفا ومعنى معنى فان الرسول ربما حرم بعض ما امل او عمل الكتب
وحرص الترسل على المرسل اليه واغراه وكذب عليه ويقال ان الاسكندر
وجه رسولا الى بعض ملوك الشرق فجاءه برسالة فشكل في حرف منها
فقال الاسكندر ويلك ان الملوك لا تخلو من متقوم ومسدد اذا مالت
وقد جئتني برسالة صحيحة الالفاظ بينة العبارة غير ان فيها
حرفا ينقضها افعلى يقين انت من هذا الحرف ام شاك فيه فقال الرسول
بل على يقين انه قاله فامر الاسكندر ان يكتب الفاظه حرفا حرفا ويعاد
الى الملك مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له فلما قرئ على الملك مر
بذلك الحرف وانكره فقال للمترجم ضع يدي على هذا الحرف فوضعها فامر
ان يقطع ذلك الحرف بسكينه فقطع من الكتاب وكتب الى الاسكندر ان
رأس المملكة صحة فطرة الملك ورأس الملك صدق لهجة رسوله اذ كان عن

لسانه ينطق والى اذنه يؤدي وقد قطعت بسكيني ما لم يكن من كلامي
اذ لم اجد الى قطع لسان رسولك سبيلا فلما جاء الرسول بهذا
الى الاسكندر دعا الرسول الاول فقال ما حملك على كلمة اردت بها
فساد ملكين فاقر الرسول انّ ذلك لتقصير راه من الموجه اليه
فقال الاسكندر فاراك لنفسك سعيت لا لنا فلما فاتك بعض ما املت
جعلت ذلك ثأرا في الانفس الخطيرة الرفيعة فامر بلسانه فنزع من قفاه

ومن اخلاق الملوك الا يكون لنائمه في ليل ولا نهار موضع
يُعرف ولا حوى يُقصد اليه اذ كانت انفس الملوك هي المطلوبة عزتها
والموكل برعايه سنتها وساعة اوقات غفلتها ويقال ان ملوك
آل ساسان لم يُعرف بيت احد منهم قط ولا مقيله فاما اردشير
وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى وابرويز وكسرى انوشروان
فكان يُفرش للملك منهم اربعون فراشا ليس منها فراش الا ومزآه من بعيد
على الانفراد لم يشك انه فراش الملك خاصة ولعله الا يكون على واحد منها

بل لعله ينام على مجلس دقيق وربما توسد ذراعيه ونام
ولو لم تجب على الملوك ما حفظ مناهم وصيانته عن كل عين نظرت
واذن تسمع الا انّ النبي صلى الله عليه وسلم فعله وهو مع الله بمكانه
المخصوص من كلايته اياه وحراسته الامين لقد كان يحق عليهم ان
يعتدوا او يتمثلوا فعله وقد ان المشركون هموا بقتله فاخبره جبرئيل
عن الله عز وجل بذلك فدعا علي بن ابي طالب عليه السلم فنام على فراشه
ونام هو صلى الله عليه وسلم بمكان آخر فلما جاء المشركون الى فراشه فنهض
عنه علي ان انظروا عنه ففي هذا اكبر الادلة واوضح الحجة على ما ذكرنا
اذ كانت انفس الملوك هي الانفس الخطيرة الرفيعة التي تزن بنفوس
كل من اظلت الخضراء واقلت الغبراء وكانت الاعاجم تقول لا
ينبغي للملك ان يطلع على منامه الا الوالدان فقط فامّا ورد وغيرها فالوحشة
منه وترك الثقة به ابلغ في باب الحزم واوكد في سياسة الملك
واوجب في الشريعة واوقع في الهوينا ومن حق الملك ان يعامله

ابنه كما يعامله عبد والا يدخل مدخله الا باذنه وان يكون الحجاب
عليه اغلظ منه على مزدونه من بطانة الملك وخدمه لئلا تحمله الدالة
على غير مراد الحق فانه يقال ان يزدجرد راى بهرام ابنه بموضع
لم يكن له فقال مررت بالحاجب قال نعم قال فاخرج اليه واضربه ثلثين
سوطا ولطمه على الستر ووكل به الحجابة آزاد مرد ففعل ذلك بهرام
وهو اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة ولم يعلم الحاجب فيما غضب عليه فلما
جاء بهرام بعد ذلك ليدخل دفع آزاد مرد في صدره دفعة وقال ان
رايتك بهذا الموضع ثانية ضربتك ستين سوطا ثلثين منها بجنايتك
على الحاجب بالامس وثلثين لئلا تطمع من الجناية علي فبلغ ذلك
يزدجرد فدعا آزاد مرد فخلع عليه واحسن اليه ويقال ان يزيد بن
معاوية كان بينه وبين ابيه باب فكان اذا اراد الدخول عليه قال
لبعض جواريه انظري هل تحرك امير المومنين فجاءت الجارية حتى فتحت
الباب فاذا معوية قاعد في حجره مصحف وبين يديه جارية تصفح عليه

فاخبرت يزيد بذلك فجاء يزيد فدخل على معوية فقال اي بني اني
انما جعلت بيني وبينك بابا كما بيني وبين العامة فهل ترى احدا يدخل
من الباب الا باذن قال لا قال كذلك فليكن بابك فاذا قرع عليك
فمهوادنك وهكذا ذكر لنا ان موسى الهادي دخل على امير المومنين
المهدي فزبره وقال اياك ان تعود الى مثلها الا ان يفتح بابك
وذكر لنا ان المامون لما استغرقه الوجع سأل بعض بنيه الحاجب
ان يدخله ليراه قال لا والله ما الى ذلك سبيل ولكن ان شئت ان
تراه من حيث لا يراك فاطلع عليه من ثقب في ذلك الباب فجاء حتى اطلع
وتأمله ثم انصرف وذكر لنا ان اياخ بعر بالواثق في حياة
المعتصم واقعا في موضع لم يكن له ان يقف فيه فزبره وقال تنح فوالله
لولا اني لم اتقدم اليك لضربتك مائة عصا وليس لابن الملك الا ما لعبده
من الاستكانة والخضوع والجنوح ولا له ان يظهر دالة الابوة وموضع
الوراثة فان هذا انما يجوز في النمط الاوسط من الناس ثم الذين يلونهم

فاما الملوك فترق عن كل شئ يحتاج اليه وليس لابن الملك ان
يسفك دما وان اوجبت الشريعة سفكه وجاءت الملة به الا عن اذن
الملك ورأيه لانه متى تفرد بذلك كان هو الحاكم دون الملك وفي هذا
وهن على الملك وضعة في المملكة وكذلك ايضا ليس له ان يحكم في الحلال والحرام
والفروج والاحكام وان كان ولي عهده والمتقلد ارث ابيه والمحكوم له
بالطاعة الا عن امره ورأيه وليس له اذا جمعته والملك دار واحد ان
يأكل الا باكل الملك ولا يشرب الا بشربه ولا ينام الا بمنامه وكذلك تجب
عليه في كل شئ من امور السارة والضارة ان يكون تابعا له تاليا لحركته
وليس هذا من دون ابن الملك من بطانته وسائر رعيته لان ابن الملك
عضو من اعضائه وجزء من اجزائه والملك اصل والابن فرع والفرع تابع
للاصل والاصل مستغن عن الفرع وليس لابن الملك ان يرضى عن
سخط عليه الملك وان كان المسخوط عليه لا ذنب له عنده لان من العدل
والحق عليه ان يوالي من والى الملك ويعادي من عاداه ولا ينظر في هذا الى حظ

نفسه وارادة طبعه حتى يبلغ من حق الملك ما ان وجد الى حيلة سبيلا
ان يقتله وعلى هذا ينبغي ان يكون نظام العامة لملكها وقد لحدث في
اخلاق الملك ملالة لشهوة الاستبدال فقط فليس لصاحب الملك اذا احدث
الملك خلقا ان يعارضه بمثله ولا اذا رأى بنوة او وزارة ان تحدث
مثله فانه متى فعل فسدت نيته ومن فسدت نيته عادت طاعته معصية
وولايته عداوة ومن عادى الملك فنفسه عادى واياها اهان ولكن عليه
اذا احدث الملك الخلق الذي عليه بنية اكثر الملوك ان يحتال في صرف قلبه
اليه والحيلة في ذلك سهلة انما هو ان يطلب خلوته فيلقيه بنادرة مضحكة
او غريب مثل ناد را وباخبار كان عنه مغطى وكشفه له كما فعل بعض سمار
ملوك الاعاجم فاظهر الملك له جفوة الملالة فقط رأى ذلك تعلم نباح الكلاب
وعواء الذياب ونهيق الحمار وصياح الديوك وسجيح البغل وصهيل
الخيل ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب من مجلس الملك وموضع منامه فنبح
نباح الكلاب فلم يشك الملك انه كلب وابن كلب وقال انظروا ما هذا فنظروا عواء

الزياب فنزل الملك عن سريره فمشى نحيق الحمار ومرّ الملك
هاربا وجاء غلمانه يتبعون الصوت فكلّما دنوا منه احدث معنى
آخر فانحجموا عنه ثم اجتمعوا فحمّوا عليه فاخرجوه وهو عريان فلمّا
نظروا اليه قالوا هذا ما زبار المضحك فضحك الملك حتّى يبسط وقال
ويحك ما حملك على هذا قال ان الله مسخني كلبا وذيبا وحمارا فغضب
علىّ الملك فامر ان يخلع عليه ويردّ الى موضعه وهذا لا يفعله الّا اهل
الطبقة السفلى واما الاشراف فلهم جلّ غرهن وما يشبه اقدارهم
كما فعل روح بن زنباع وكان احد دهاة العرب وراى من عبد الملك
بن مروان نبوة واعراضا فقال للوليد الا ترى ما انا فيه من اعراض
امير المؤمنين عنّي بوجهه حتى قد نغرت السباع افواهها نحوي واهوت
بمخاليبها الى وجهي فقال له الوليد احتل في حديث يضحكه فقال روح
اذا اطمأنّ بنا المجلس فسلني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح او يسمع
مزاحا فقال الوليد افعل وتقدّم فسبقه بالدخول وتبعه روح فلمّا

اطمأنّ بهم المجلس قال الوليد لروح هل كان ابن عمر يسمع المزاح قال
حدّثني ابن ابي عتيق انّ امرأة عائشة بنت عبد الرحمن هجته فقالت
ذهب الاله بما تعيش به وقرت ليلكا يمانقد
انفقت مالك غير محتشم في كلّ زانيةٍ وفي الخمر
قال وكان ابن ابي عتيق صاحب غزل وفكاهة فاخذ هذين
البيتين وهما في رقعةٍ فخرج بها فاذا هو بعبد الله بن عمر فقال
يا ابا عبد الرحمن انظر في هذه الرقعة واشر عليّ برأيك فيها فلمّا
قرأها استرجع عبد الله فقال ما ترى فيمن هجاني لهذا قال عبد الله
ارى ان تعفو وتصفح قال والله يا ابا عبد الرحمن لئن امكنني قائلها
لا نيكنّه نيكا جيّدا فاخذ ابن عمر افكل واربدّ لونه قال مالك غضب الله
عليك هو ما قلت لك وافترقا فلمّا كان بعد ذلك بايّام لقيه فاعرض
ابن عمر بوجهه فقال يا ابا بكر ومن فيه الا ما سمعت كلامي فيحوب عبد الله
فوقف واعرض عنه بوجهه فقال علمت يا ابا عبد الرحمن انّي لقيت

قائل ذلك الشعر فنكته فضعق ابن عمر وليط به فلما رأى ما حل به
دنا من اذنه فقال انها امرأتي فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه
فضحك عبد الملك حتى فحص برجله وقال قاتلك الله يا روح ما اطيب
حديثك ومد اليه يديه فقام روح فاكب عليه وقبل اطرافه وقال
يا امير المؤمنين اذنب فاعتذر ام لملالة فارجو عافيتها قال لا والله
ماذاك من شيء تكرهه ثم عاد له احسن حالا ونحو هذا يحكى
عن جرير حين دخل على عبد الملك وقد اوفد اليه الحجاج فدخل محمد بن
الحجاج وقال لجرير كن في آخر من يدخل فلما دخل جرير قال محمد يا امير
المؤمنين هذا جرير بن الخطفى ما دخل وشاعرك فقال جرير فقلت
ان رأى امير المؤمنين ان ياذن له في انشاد مديحه قال هات في الحجاج
فقلت يا امير المؤمنين هات في الحجاج فانشد قولي في الحجاج
صبرت النفس يا ابن ابي عقيل محافظة فكيف ترى الثواب اولم يرض
ربك لم ينزل مع النصر الملئكة الغضابا اذا سعر الخليفة نار حرب

رأى الحجاج ثغبها شبابا فقال صدقت هو ذاك ثم قال
للاخطل وهو خلفي وانا لا اراه قم فهات مدحنا فقام فانشده
فاجاد وابلغ فقال انت شاعرنا وانت مادحنا قم فاركبه
قال فالقى النصراني ثوبه وقال حب يا ابن المراعة قال وساء
ذلك وحضر من المضرية وقال يا امير المؤمنين لا يركب الخسف
المسلم ولا يظلم عليه فاستجابا عبد الملك وقال دعه فانصرف
اخزى خلق الله حالا لما رأيت من اعراض المؤمنين عني واقباله
على عدوي حتى اذا كان يوم الوداع دخلت لاودعه فكنت
في آخر من دخل عليه فقال له محمد بن الحجاج يا امير المؤمنين
هذا جرير وله مدح في امير المؤمنين قال لا هذا شاعر الحجاج
قال وشاعرك يا امير المؤمنين قال لا قال فلما رأيت سوء رايه
انشأت اقول اتصحو ام فؤادك غير صاح قال ذاك فؤادك
ثم انشدته حتى البيت الذي سره وهو قولي الستم خير من ركب المطايا

واندى العالمين بطرت راح استوى وكان متكيا فقال
بلى لحن ذاك اعد فاعدت فاستزلونه وذهب ما كان في
قلبه ثم التفت الى محمد فقال اترى ام جرير ترويها مائة من
الابل قلت نعم يا امير المؤمنين ان كانت من فرائض كلاب
فلم تروها فلا رواها الله قال فامر لى بمائة فريضة ومدت يدي
وبين يديه صحاف اربع مرفضه قد اهديت له فقلت الحلب
يا امير المؤمنين فاخذت منها واحدة فقال خذها لا بورك لك
فيها قلت فلما اخذت من امير المؤمنين بارك لي فيه وهكذا
افعل بالامس عبد الملك بن هلال الهناى وكان سليمن بن ابي
جعفر قد جفاه فاتاه يوما فى قائم الظهيرة والهجيرة تقد فاستأذن
فقال له الحاجب ليس هذا وقت اذن على الامير قال اعلمه موضعي
فدخل عليه فاعلمه فقال مره بسلم قائما ويخفف فخرج الحاجب
فاذن له وامره بالتخفيف فدخل فلم قائما ثم قال اصلح الله الامير

انى انصرفت بالامس نحو منزلي وامسيت فبينا انا في الطريق
اذا بمؤذن قد ثوب بصلوة المغرب على مسجد معلق فصعدت
ثم صعدت ثم صعدت قال سليمن فبلغت السماء فكان ماذا
فقال فتقدم انسان اما كريحي واما سنيدي واما طمطماني فام
القوم فقرأ بكلام لم افهمه ولغة ما افهمها فقال ويل لكل
همزة لمزة الذى جمع
مالا وعدده يريد ويل لكل همزة لمزة الذى جمع
مالا وعدده قال واذا خلفه رجل سكران ما يعقل سكرا فلما
سمع قرأته ضرب بيديه ورجليه وجعل يقول ارعكى اركلى
ارعكى اركلى ارعكى اركلى وفى حرم قاربك فضحك سليمن
ثم تمرغ على فراشه وقال اذن منى يا محمد فانت اطيب امة محمد ثم
دعا له بخلعة وقال الزم الباب واغدنى كل يوم
وهذه اخلاق الملوك ان فهمتها وليس بعجب ان يتلون اخلاقهم
اذ كنا نرى اخلاق القرين المساوي والشريك والالف يتلون

ولا يستوي ولعله ان يجد عن إلفه وقرينه وشكله مندوحة
فكيف لمن ملك الشرق والغرب والاسود والابيض والحر
والعبد والشريف والوضيع والعزيز والذليل وعلى انه ربما
كانت جفوة الملك اصلح من تأديب الصاحب وانصاله بالانس
وان كان لا يقع بموافقة المجفو لان فيها فراغ المجفو لنفسه
ولخاص امره ومنها ايضا ان كان المجفو من اهل
السمر واهل الفكاهات فبالحري ان تستفيد تلك الجفوة
علما طريفا محدثا اما بالكتب واما بالمشاهدة والملاقاة وربما
كان لا يمكنه قبل ذلك وهو في شغله ومنها ان جفوة
الملك ربما أدبت الصاحب الادب الكثير وذاك انه كان قرب
من نفس الملك ومجلسه وطال معه قعوده وموانسته تمنى
الفراغ وطلبت نفسه التخلص والراحة والخلوة لارادة نفسه
كما انه كل من كثر فراغه وحفي واطرح طلب الشغل والانس

وما اشبه ذلك وبعض الاخلاق ركبت الفطرة وحليت
النفوس فاذا جاءه الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة
التي لم يقدرها طلبت نفسه الموضع الذي كان يملأه والشغل الذي
كان يمر به عنه ومنها انه كان في عز ومنعة وامر ونهي
وكان مرغوبا اليه مرهوبا منه ثم حدثت جفوة الملك انكر
ما كان يعرف وعصاه من كان مطيعا وجفاه من كان له برا
ومنها ان جفوة الملك تحدث رقة على العامة ورأفة
بهم وتحدث للمجفو حسن نية ومنها ان الرضى اذا كان
يتعقب الجفوة وجب على المجفو شكر الله على ما الهم الملك فيه
فتصدق واعطى وصام وصلى فكل شيء من امر الملوك حسن في
الرضى والسخط والاخذ والمنع والبذل والاعطاء والسراء
والضراء غير انه تجب على الحكيم المميز ان يجهد بكل وسع
طاقته ان يكون من الملك بمنزلة بين المنزلتين فانما اجرى

المنازل بدوا من النعمة واستقامة الحال وقلة المنافس ومشاغبة
اهل الحسد والوشاة وليس من اخلاق الملك ان يدني من
عظم قدره واتسع علمه وطاب مركبه او ظهرت امانته او كملت
اداته وهذه الصفات هي لجنس آخر يحتاج الملك الى اصحابها
ضرورة كحاجته من القضاة الى القصد والامانة وحاجة
من الطبيب الى الحذاقة بالصناعة والركانة وحاجته من
الكتاب الى تحبير الالفاظ ومخارج الكلام والايجاز في الكتب
وبما اشبه ذلك فاما الغرباء والمحدثون واصحاب اللاهي
ومن اشبههم فكل من دنا من الملك علم به كائنا من كان ومن
حيث كان وكذا وجدنا في كتب الاعاجم وملوكها وفيما يذكر عن انوشروان
انه قال صاحبك من علق بثوبك وكذا وجدنا في امثال
كليله ودمنه ان الملك كالشجرة ليس يتعلق باكرم الاشجار انما
يتعلق بما قرب منها وقد نجد مصداق ذلك عيانا في كل دهر

واخيار كل زمان ومن اخلاق الملك السخاء والحياء فهما قرينا
كل ملك كان على وجه الارض ولو قال قائل انما ركبا في الملوك
كتركيب الاعضاء والجوارح كان له ان نقول اذ كنا لم نشاهد
ولم يبلغنا عن من مضى من الملوك ملوك العجم ومن كان قبلهم وملوك
الطوائف وغيرهم القحة والبخل فاما السخاء فلو لم يكن
احد طبائع الملوك كان يجب ان يكون باكتساب ان كان الملك
من اهل التمييز وذلك انه كان يفيد اكثر مما ينفق فاذا كانت
هذه صفة كل ملك فما عليه من اتخاذ الصنائع وتعميم المنن و
الاحسان الى من نأى عنه او دنا منه من اوليائه والرحمة للفقير
والمسكين والتأني على اهل الحاجة واما الحياء فهو من اجناس
الرحمة وحقيق للملك اذ كان للراعي ان يرحم رعيته واذ كان
للامام ان يرق على المؤتم به واذ كان للمولى ان يرحم عبده
وقد يخطئ العامة وكثير من الخاصة في الملوك حتى يسمونهم بغير اسمائهم

ويصفونهم بغير صفاتهم ويخلونهم الانخال والامساك اذا رأوا
الملك على سنن من القصد وعدل من حدّ الانفاق ويغفلون
ما ادّب الله به نبيّه صلّى الله عليه وسلّم بقوله ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط ويمدحه عباده للصالحين
بالقصد في ذات ايديهم بعلمهم ان ارضى الاحوال عند من ادخل
في باب الاقتصاد وبقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما وقد ذكر بعض من لا يعلم
في كتاب يسمّى بالخلاء من الملوك لزهشام بن عبد الملك وابا جعفر
المنصور ومروان بن محمد وغيرهم منهم ولو احتجنا الى الاخبار
عن جهل هذا لم يكن لذكره معنى ولا للتشاغل بالردّ عليه وكيف
يكون المنصور ممّن دخل في جملة هذا القول ولا نعلم انّ احدا
من خلفاء الاسلام ولا ملوك الامم وصل بالف الف لرجل
واحد ولقد فرّق على جماعة من اهل بيته عشرة الف الف ذكر ذلك

الهيثم بن عدي والمدايني وحدّثني بعض اصحابنا عن ابيه عن يزيد
مولى عيسى بن نهيك قال دعاني المنصور بعد موت مولاي فقال
يا يزيد قلت لبّيك يا امير المؤمنين قال كم خلّف ابو زيد من المال
قلت الف دينار او نحوها قال فاين هي قلت انفقها الحرّة في مأتمه
قال فاستعظم ذلك وقال انفقت في مأتمه الف دينار ما
اعجب هذا ثمّ قال كم خلّف من الثّياب قلت شيئا فاطرق مليّا
ثمّ رفع راسه فقال اغد الى باب المهدي فغدوت فقيل معك
بغال فقلت لم اومر باحضار بغل ولا غيره ولا ادري لم دعيت
قال فاعطيت عاتين ومائة الف دينار وامرت ان ادفع الى كلّ واحد
من بنات عيسى بن نهيك ثلثين الف دينار ففعلت ثمّ دعاني المنصور
فقال قبضت ما امرنا به لبنات ابي يزيد قلت نعم يا امير المؤمنين قال
اغد علىّ باكفائهن حتّى ازوّجهن منهم قال فغدوت عليه بثلثة
من ولد العلى وثلثة من آل نهيك من بني عمّهن فزوّج كلّ واحدة

منهن على ثلثين الف درهم وامرأن تحمل اليهم صداقهن من ماله
وامرني ان اشترى بها مرلهن ضياعا يكون معاشهن منها
فهل سمع هذا الجاهل الخائن مثل هذه المكارم لعربي او عجمي
ولو آثرنا ان نذكر محاسن المنصور على التفصيل لطال
بها الكتب وكثرت فيه الاخبار وقل ما استعملت العامة وكثير
من الخاصة التمييز ايثارا للتقليد اذ كان اقل في الشغل واذل
في الجهل واخف في المؤنة ونحسبك من جهل العامة انها تفضل
التمين على النحيف وان كان التمين مأوفا والنحيف ذا فضائل
وتفضل الطويل على القصير للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ما هو
وتفضل راكب الدابة على راكب البغل وراكب البغل على راكب
الحمار اقتصارا على التقليد اذ كان اسهل في المأتى واهون في الاختيار
ومن حق الملك اذا اعتل الا يطلب خاصته للدخول عليه في
ليل ولا نهار حتى يكون هو الذي يامر بالاذن لمن حضر والا يرفع

الحاجب اسماءهم مبتدئا حتى ياذن له فاذا اذن له بالدخول فمن
حقه الا يدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ولا يدخل
عليه من هذه الطبقة جماعة ومن غيرها جماعة ولكن على
الحاجب ان يحضر الطبقات الثلث كلها ومن حضر منها ثم ياذن
للعليا جملة فاذا دخلت قامت بجنب مراتبها فلم تسلم عليه فتحوجه
الى رد السلام فاذا علمت انه لاحظها دعت له يسيرا موجزا ثم خرجت
ودخلت التي تليها فقامت على مراتبها فدعت اقل من دعاء الاولى
ودخلت الثالثة وكان حظها ان يراها فقط وليس من عادة الملك
ان يوقف هذه الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعو له وتنظر اليه
وانما مراتبها ان يراها فقط ومن حق الملك الا ينصرف احد
من هذه الطبقات الى رحله الا في اليوم الذي ينصرف منه في
صحة الملك وبالحري الا يرح فتأسيه وملكه انتظارا لافاقته
من علته وتحصى عن ساعات مرضه ومن الحق على الملك تعهد

بطانته وخاصته بجوائزهم وصلاتهم ان كان ذلك بحق مشاهرة او مسانهة
ومن اخلاق الملك ان يوكل كل باذكاره صلاتهم ولا يحوج احدا
منهم الى رفع رقعة او تعريض فان هذا ليس من اخلاق المتيقظ من
الملوك وكانت ملوك آل ساسان تفعل في هذا فعلا بقي لهم ذكره
الى هذه الغاية فكان الملك منهم يقدر للرجل من خاصته وبطانته
تقديرا وسط فيه الاسراف والاقتصاد في مؤنه كلها وحوائجه خاصها
وعامها فاذا كان التقدير على الجملة التي وصفنا عشرة الف درهم في الشهر
وكانت للرجل ضيعة امر ان يدفع اليه في كل ثلثين ليلة عشرة الف
درهم لا نزاله ونفقاته وحوائجه ويقول الملك له قد علمنا ان
الضيعة التي قد اخذتها هي مما تقدم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكر
تلك النعمة منك وليس من العدل ان تكون في خدمتنا ويكون نفقتك
من شيء اخذته بشكر قد تقدم وحرمه قد تاكدت فليكن ما اثرت لك
ضيعتك ظهريا لنوائب الزمان وانقلاب الدول وحوادث المؤن

ولتكن مؤنك وكلك على خاص اموالنا وكذلك للطبقات على هذا
النظام احكام يمضي على احدهم عشرون سنة لا تفتح فاه بطلب
درهم ولا غيره مستشطا لزمانه مبتهجا بنعم ملكه مسرورا
بما كفي من التذكار شكر الحال ومن حق الملك هدايا النيروز
والمهرجان والعلة في ذلك انهما فصلا السنة فالمهرجان دخول
البرد والنيروز دخول فصل الحر الا ان في النيروز احوالا
ليست في المهرجان فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج وتولية
العمال والاستبدال وضرب الدراهم والدنانير وتذكية بيوت
النيران وصب الماء والاخذ بالدسفند واشارة البنيان
وما اشبه ذلك فهذه فضيلة النيروز على المهرجان
ومن حق الملك ان يمدى اليه الخاصة والحامة والسنة في ذلك
عندهم ان يهدي الرجل ما احب من ملكه اذا كان من الطبقة العليا
فان كان حب المسك اهدى مسكا او غيره وان كان حب العنبر اهدى عنبرا

وان كان صاحب كسوة وثياب اهدى كسوة وثيابا وان كان
الرجل من الشجعان والفرسان فالسنة ان يهدي فرسا اورمحا
اوسيفا وان كان راميا فالسنة ان يهدي نشابا وان كان من
اصحاب العمال فالسنة ان يهدي ذهبا وان كان من عمال
الملك وكانت عليه مواريث للسنة الماضية جمعها وجعلها
في سحر برصيني وبرحاب فضة وخيوط ابريسم وخواتيم
عنبر ثم وجمعها ظاهرا وكذلك انما كان يفعل من العمال من
اراد ان يتزين بفضل نفقاته او بفضل عمالته او ادآء امانته
وكان الشاعر يهدي الشعر والخطيب الخطبة والنديم
الطرفة والتحفة والباكورة من الخضراوات وعلى خاصته
نساء الملك وجواريه ان يهدين الى الملك ما تتزين به وبفضيلته
كما قدمنا في الرجال غير انه يجب على المرأة من نساء الملك ان
كانت عندها جارية تعلم ان الملك يهواها ويسر بها ان

تهديها اليه باكمل حالاتها وافضل زينتها واحسن هيئاتها
فاذا فعلت ذلك فمن حقها على الملك ان يقدمها على نسائه
ويخصها بالمنزلة ويزيدها في الكرامة ويعلم انه قد آثر بها
على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصته بما ليس
في وسع النساء الا القليل من الجودية ومن حق
البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا ان يعرض عليه
ويقوم قيمة عدل فاذا كان قيمة الهدية عشرة الف اثبت في
ديوان الخاصة فان كان صاحبها ممن يرغب في الفضل ويذهب
الى الرجحان ثم يأتيه نائبة من مصيبة تصاب بها او بناء يتخذه
او مأدبة او عرس تكون من تزويج ابن او اهداء بنت الى بعلها
نظر ما له في الديوان وقد وكل بذلك رجلا يرعى هذا وما
اشبهه ويتعهده فاذا كانت قيمة الهدية عشرة الف اضعفت
له ليستعين بها على نائبته وان كان الرجل ممن يهدي شاتة

او اهدى درهما او تفاحة او ترجة فان تلك الهدية انما
قدمها ليثبت له في الديوان ويخبر الملك ان نابته نائبة فعلى
الملك اعانته عليه اذ كان من اساورته وبطانته او محدثيه
فاذا رفع الى الملك ان له في الديوان نشابة او درهما او ترجة
او تفاحة امر الملك بوخذ ترجه فتملأ دنانير منظومة
ويوجه بها اليه وكان لا يعطى صاحب التفاحة الا كما يعطى صاحب
الترجة واما صاحب النشابة فكان يخرج نشابته من الخزانة
ويعلمها اسمه فتنصب وتوضع باز آئها من كسوة الملك ومن سائر
الكسا فاذا ارتفعت حتى توارى فضل النشابة دفع صاحبها
فدفعت اليه تلك الكسوة وكان من تقدمت له هدية في
النيروز او المهرجان صعرت ام كبرت كثرت ام قلت ثم لم يخرج
له من الملك صلة عند نائبة تنوبه او حق يلزمه فعليه ان يأتي ديوان
الملك ويذكر بنفسه ولا يغفل عن احياء السنة ولزوم الشريعة

وان غفل عرفه عارض يحدث فان ترك على عمد فمن سنة الملك
ان يحرمه ارزاقه لستة اشهر وان يدفعها الى عدو ان كان له اذ
اتى سبا فيه للملك وضعة في المملكه وكان اردشير وبهرام
جور وانوشروان يامرون باخراج ما في خزائنهم في المهرجان
والنيروز من الكسى فتفرق على بطانة الملك وخاصته ثم على بطانة
البطانة ثم على سائر الناس على مراتبهم وكانوا يقولون ان الملك
يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف
وليس من اخلاق الملك ان يخبأ كسوتها في خزائنها فيساوى
العامة في فعلها وكان يلبس يوم المهرجان الجديد من الخز
الوشي والملحم ويفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا فاذا كان يوم
النيروز لبس خفيف ثياب سابور ورقيقها وامر بكسوة الشتاء
كلها فتفرقت ولا يعلم ان احدا بعدهم اتفق آثارهم الا عبد الله بن طاهر
فاني سمعت من محمد بن الحسن بن مصعب يذكر انه كان يفعل ذلك

في النيروز والمهرجان حتى لا يترك في خزانته ثوبا واحدا الا كساه
وهذا من احسن ما ذكر لنا في فضائله ومن اخلاق الملك اللهو غير
انّ اسعدهم من جعل للهو وقتا واحدا واخذ نفسه بذلك فانه اذا
فعل ذلك استطاب اللهو والهزل والمفاكهة واذا ادمن ذلك
خرج به اللهو من بابه حتى يجعله جدّا لا هزل فيه وحقا لا باطل معه
وخلقا لا يمكنه الانصراف عنه وليس هذا صفة الملك السعيد
ومن ادمن شيئا من ملاذ الدنيا لم تجد له من اللذة وجوده الطعم
وجوده النوم وهذا قد نراه عيانا وتقال ان الذ الطعام
واطيبه ما كان على جوع شديد والذ الجماع واطيبه اذا اشتدّ
الشبق وطالت الغربة والذ النوم ما كان بعقب التعب والسهر
وعلى هذا جمع ملاذ الدنيا فالملوك الماضية انما جعلت
للملاذ وقتا من اليوم والليلة هذه الفضيلة التي فيها فعل
الملك السعيد ان يقسم يومه اقساما فاوّله لذكر الله وتعظيمه

وتهليله وصدره لربها ياه واصلاح امرها ووسطه لاكله و
مناه وطرفه للهوه وشغله والآيتا بر على ادمان الشغل في كل يوم
وان طالت هذه الاقسام بمواضعها فلا يجد للهو لذّته ولا للنعيم
موضعه الذي هواه وكانت الملوك الماضية من الاكاسرة
يشرب كل ثلثة ايام يوما الا بهرام جور والاردوان الاحمر
وسابور فانهم كانوا يداومون الشرب في كل يوم
وكان ملوك العرب كالنعمان وملك الحيرة وملوك الطوائف
اكثر ما يشربون في كل جمعة يوما وليلة وكان من ملوك
الاسلام من يدمن على شربه يزيد بن معاوية وكان لا يمسي
الا سكرانا ولا يصبح الا مخمورا وكان عبد الله يسكر في كل
شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو ولا في الارض ويقول انما اقصد
في هذا الى اشراق العقل وتقويته وتصفيه موضع الفكر عن انه
اذا بلغ آخر حدّ السكر افرغ ما كان في بدنه حتى لا يبقى في اعضائه

منه شيء فيصح خفيف البدن ذكي الذهن نشيط النفس
قوي المنة وكان الوليد يشرب يوما ويدع يوما
وكان سليمن يشرب في كل ثلث ليال ولم يشرب عمر بن عبد العزيز
منذ افضت اليه الخلافة الى ان فارق الدنيا ولا سمع غناء
وكان هشام يسكر في كل جمعة وكان يزيد بن الوليد والوليد
يزيد يذمنان اللهو والشرب واما يزيد بن الوليد فكان دهره
بين حالين بين سكر وخمار لا يوجد ابدا الا ومعه احدى هاتين
وكان مروان يشرب ليله الثلثآء وليله السبت وكان
ابو العباس يشرب عشية الثلثآء وجدها في كل جمعه وكان
المهدي والهادي يشربان يوما ويدعان يوما وكان الرشيد
يشرب في كل جمعه مرتين وربما قدم ايامه واخرها على انه لم ير
احد قط يشرب ظاهرا الا انه كان يتعمد هذين اليومين لبنداته
وكان المامون في اول ايامه يشرب الثلثآء والجمعة ثم ادمن

الشرب عند خروجه الى الشام في سنة خمس عشرة الى ان توفي
وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة وكان
الواثق ربما ادمن الشرب وتابعه غير انه لم يكن يشرب في ليلة
الجمعة ولا يومها واخلاق الملوك تختلف في اللبسه والطيب
فمن الملوك من كان لا يلبس القميص الا يوما واحدا او ساعة واحدة
فاذا نزعه لم يعد اليه ومنهم من كان يلبس القميص والجبة
اياما فاذا ذهب رونقه وبعض ما رمي به ولم يلبسه بعد
واما اردشير ويزدجرد وبهرام وكسري انوشروان وقباد فانهم
كانوا يلبسون القميص ويغسل لهم ثم يلبسونه ويغسل لهم فاذا غسل
ثلث مرات لم يغسل بعدها وجعل في الخلع التي تخلع على الولد والقرابات
والعم وابن العم والاخ وابن الاخ ولم يكونوا يخلعون ما قد لبسوه
الا على القرابات من اهل بيت المملكة خاصة لا يجاوزونه الى غيرهم
فاما الخلع التي تقطع وتتخذ للطبقات وسائر الناس فمثل صنف

آخر

وكان ملوك العرب منهم من يلبس القميص مرارا ويغسل له غسلات

معاوية وعبد الملك وسليمن وعمر بن عبد العزيز

وهشام ومروان وابو العباس وابو جعفر والمامون

واما يزيد بن معاوية والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد والمهدي

والهادي والرشيد والمعتصم والواثق فانهم كانوا لا يلبسون

القميص الا لبسة واحدة الا ان يكون الثوب نادرا عجيبا غريبا

فاما الجباب الازدية فلم تزل الملوك تلبسها السنة او اكثر ايام

السنة ومنهم من كان يلبس الجبة والمطرف السنين الكثيرة

ولبس الجباب الازدية فالقميص والسراويل لان القميص والسراويل

هما الشعار وسائر الثياب الدثار ولذلك كره من كره منهم اعارة

لبسهما واخلاق الملوك في العطر والطيب وتغلل الغالية مختلفة

فمن الملوك من اذا مس الطيب وتغلل بالغالية لم يعد الى مس

الطيب ما بقي عبقها في ثوبه ومن الملوك من كان اذا مس الطيب

وتغلل بالغالية فتضوعت منه وعلقت بثيابه امر بصب الماء ورد

على راسه حتى يسيل فاذا كان من غد فعل مثل ذلك فامامن

كان لا يمس طيبا ما دام يجد عبق الطيب في ثيابه فارد شير

وقباد بن يزدجرد وكسري ابرويز وكسري انوشروان

ومن ملوك العرب معوية وعبد الملك والوليد وسليمن

وعمر وهشام ومن خلفاء بني العباس ابو العباس وابو جعفر

والمامون وكان المعتصم قل ما يمس الطيب وكان يذهب في

ذلك الى ثوبه وبدنه واعانته على شدة البطش والايد واما ايام

حروبه فكان فرد نابه وجد صدأ الحديد والسلاح من جسمه

ومن اخلاق الملوك الزيارة لمن خص بالتكرمة وآثره المنزلة

ورفع المرتبة وزياره الملك على اربعة اقسام فمنها الزيارة

التي للمطاعمة والمنادمة ومنها الزياره للعيادة ومنها الزيارة

للتعزية في المصيبة ومنها الزيارة للتعظيم لان هذه الاقسام

الثلثة اكثر ما يقع ويتفق سؤال المزور للملك وتلفظه في ذلك
وربما رفع الملك مرتبة الوزير وخصه وقدمه على سائر بطانته
فيكون من حيل الوزير ان يتعالك فيعوه الملك فيظهر للعامة منزلته
عنده وتكرمته اياه وايثاره له وايضا مثل ملك سأله وزيره
او صاحب جيشه او احد من عظمائه زيارته فاجابه الى ذلك وسيما
اذا علم ان ذلك غرضه في ذلك الزيارة في المرتبة والتنويه بالذكر
فاذا كانت الزياره من الملك على احد هذه الاقسام الثلثة فهي منزله
كان صاحبها يأملها فبلغها وامنية طلبها فادركها فاما الزيارة
للتعظيم فانما لا تقع بسؤال ولا بارادة المزور اذ كان ليس من
اخلاق وزير ولا شريف ان يقول للملك زرني لتعظمني ولترفع
في الناس من ذكري وقدري فاذا كان ذلك من الملك ابتداء فقد
علمنا ان تلك ارفع مراتب الوزراء وافضل درجات الاشراف
وكان اردشير وانوشروان اذا اراد ان يزور او زيرا

من وزرائهما او عظيما من عظمائهما للتعظيم لا لغير ارتخت الفرس
تلك الزيارة وخرجت بذلك التواريخ كتبهم الى الافاق والاطراف
وكان سنة من زاره الملك للتعظيم ان يوغر ضياعه ويوسم خيله
ودوابه لئلا تسخر ولا تمهن وياسه خلسه صاحب الشرطة
في كل يوم مع ثلثمائة راكب ومائة راجل يكون ببابه الى غروب
الشمس وان ركب كانت الرجال مشاة امامه والركبان مزورات
لا يحبس احد من حاشيته وخاصته بجناية جناها ولا يحكم على احد
من عبيده لحكم وان وجب على احد من بطانته حد وجه اليه
ليرى فيه رأيه ويوجر عليه وظيفة ما عليه من خراج ارضه حتى
يكون هو الحامل وتقدم هداياه في النيروز والمهرجان على كل
هدية وتعرض على الملك ويكون اول من يأذن له الحاجب ويكون
من الملك اذا ركب عن شماله منزويا وتكون مرتبته اذا قعد عن
يمينه واذا خرج من دار المملكة لم يقعد بعده احد وكانت

ملوك آل ساسان لا تزور احدًا العلة من هذه العلل التي قدمنا ذكرها
فينصرف بخلعة او طيب او تحفة او هدية من جاريه او غلام
غير انه كان انه اذا نزل الملك وطأ رجله فرسا رائعا بسرج
مذهب واداة تامة فقدم اليه اذا اراد الانصراف فكان
الامر كذلك حتى ملك بهرام بن يزدجرد فكان ينادم الاساورة
من ابناء اهل الشرف فيخلع عليه في كل ساعة خلعة مجدده و
يشتمي الزامر والمغنيه والرقاصة فيأخذها وكان اول
من اطلق يده في ذلك لغلبة اللهو عليه وايثاره هواه فاما
من كان من ملوكهم قبله وبعده فعلى الامر الذي ذكرنا والحكاية
التي ادينا ومن اخلاق الملك المعود للعامة يوما في المهرجان
ويوما في النيروز فلا يحجب عنه في هذين اليومين احد صغير
ولا كبير ولا جاهل ولا شريف وكان الملك يأمر بالنداء قبل
تعوده بايام ليتأهب الرجل لذلك فيهيئ الرجل القصه ويهيئ آخر

الحجه في مظلمته ويصالح الآخر صاحبه اذا علم ان خصمه يتظلم
منه الى الملك ويأمر الموبذان يوكل رجلا من ثقات اصحابه فيقفون
بباب العامة فلا يمنع احدا من الدخول الى الملك وينادي مناد
من حبس رجلا عن رفع مظلمة فقد عصى الله وخالف سنة الملك
ومن عصى الملك فقد آذن بحربه منه ومن الملك ثم يوذن للناس
ويؤخذ رقاعهم فينظر فيها فان كان فيها شئ يتظلم فيه من الملك
بدئ به اولا وقدم على كل مظلمة ويحضر الملك الكبير والدستور
ورأس سدنة بيوت النيران ثم يقوم المنادي فينادي ليعتزل
كل من تظلم من الملك فيتمارون ويقوم الملك مع خصومه حتى
يجثوا بين يدي الموبذ فيقول ايها الموبذ ما من ذنب عند الله اعظم
من ذنب الملوك وانما خولها الله رعاياها ليدفع عنها الظلم
ويذب عن بيضه الملوك جور الجائرين وظلم الظالمين فاذا
كانت هي الظالمة الجائرة لحق لمن دونها هدم بيوت النيران

وسلب ما في النواوس من الاكفان ومجلسي هذا منك وانا
عبد ذليل يشبه مجلسك من الله غدا فان آثرت الله آثرك
وان آثرت الملك عذّبك فيقول له الموبذ ان الله اذا اراد سعادة
عباده اختار لهم خير اهل ارضه واذا اراد ان يعرفهم قدر
عندهم اجرى على لسانه ما اجرى على لسانك ثم ينظر في امرهم وامر
خصمائه بالحق والعدل فان جمع على الملك شيئا اخذه به والاحبس
من ادعى عليه باطلا ونكّل به ونادى عليه هذا جزاء من اراد
ستر المملكة والقدح فيها بالباطل فاذا فرغ الملك من مظالمه
في نفسه قام فحمد الله طويلا ثم وضع التاج على رأسه ثم جلس على
سرير الملك والتفت الى قرابته وخاصته وحامته فيقول اني لم ابدأ
بنفسي فانصف منها الا لان لا يطمع طامع في حيفي فمن كان قبله
حق فليخرج الى خصمه منه اما بصلح واما بغير فكان اقرب
الناس الى الملك في الحق كابعدهم واقواهم كاضعفهم فلم يزل الناس

على هذا من عهد اردشير ثم هلم جرا حتى ملكهم يزدجرد الاثيم
فغيّر سنن آل ساسان وعاث في الارض وظلم الرعايا
واظهر الفساد وقال ليس للرعية ان تنتصف من الراعي ولا
للسوقة ان تتظلم من الملوك ولا للوضيع ان يساوي الرفيع في
حق ولا باطل فذكرت الاعاجم في كتبها وسيرملوكها انه بينما
هو قاعد في الايوان والناس على مراتبهم وطبقاتهم اذ دخل من
باب الايوان فرس مسرج ملجم لم يرقط شيء احسن منه منظرا
ولا اكمل اداة فاهوى نحو يزدجرد الاثيم وقامت اليه الاساورة
لتدفعه عن وجهه فجعل لا يدنو منه احد الا رمحه فاداره وهو
في خلال ذلك يقصد الى الملك فقام اليه يزدجرد وقال للاساورة
دعوه فانه اليّ يقصد فدنا منه حتى اخذ بعرفه فذلّ له الفرس وتطأمن
ثم ركبه فلما حال في متنه خطابه خطّا ثم ردّه الى قرار مجلسه
فنزل عنه فجعل يمسحه بثوبه مقبلا ومدبرا حتى اذا وجد الفرس

يتم
الصفحة الاولى

منه متمكنا وغفله رحمه فاصاب جبته قلبه فقتله فقالت الفرس
هذا ملك من الملائكه جعله الله في صورة فرس نفعته في قتل
يزدجرد لما ظلم الرعايا وظلم في الارض وكان بهرام جور
ابن يزدجرد في حجر النعمن ملك الحيرة وضعه عنده ليتأدب بآداب
العرب ويعرف ايامها واخبارها ولغاتها سلمه خرابيه وان الفرس
ملكت عليها رجلا ليس من ابنآء ملوكها فاستنهض النعمن بن المنذر
واستنجده وقال ان لي عليك حقا اذ كنت احدا ولادك وان ابي
قدمات وملكت الفرس رجلا ليس من اهل بيت الملك فان انت خذلتني
ذهب ملك آل ساسان فقال النعمن ما انا وآل ساسان وهم الملوك
وانا رعية ولكن اخرج معك في جيش لتقوى منتك ويصح عزمك
ثم انت اولى بقومك وهم اولى بك قال فهذا اريد فخرج النعمن مع بهرام
فقالوا ما تريد قال ملك ابي وارث آل ساسان قالوا ان اباك سامنا
العذاب ايام مدته فاذا تفرد الله بقتله فلا حاجه لنا باحد من عقبه

فقال بهرام ان جور ابي وظلمه لا يلزمني لاثمه ولا يكسبني مذمته
وانتم لم تخبروني فيجب علي حمد او ذم قالوا فانا قد اقمنا رجلا
نرضاه قال ان هذا فساد في صلب المملكة ان تملكوا من ليس من اهلها
فاذا فعلتم فامتحنوني وهذا الرجل محنة توجب المملكة قالوا وما هي
قال تعمدون الى اسدين ضاريين فتجمعونهما في موضع وتضعون
تاج المملكة بينهما وتقولون لهذا الذي ملكتموه امركم باخذه من بينهما
فان فعل فهو احق بالملك واولى به وان ابى ان يفعل وفعلت انا ذلك
كنت احق بالملك منه قالوا نعرض عليه هذا فقالوا ذلك له فقال ما اقدر
على هذا ولكن قولوا له فليفعل فان اخذ التاج من بين اسدين فهو
احق بالملك واولى فاخذوا التاج وغدوا الى اسدين فاجاعوهما
ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام شانك فنزل عن فرسه
واخذ الطبرزين ومضى نحوهما ثم بدا له ان يجعل الطبرزين في منطقته
ودنا من الاسدين فاهوى نحوهم فاخذ برأس احدهما فادناه من رأس

الآخر ثم نطحه به حتى قتلها جميعا وشد على التاج فاخذه من
موضعه فجعله على راسه فلكنته الفرس امرهم وانصرف النعمن
الى الحيرة وسار بهرام سيرة حسنة وعدل بينهم حتى كان احب اليهم
من جميع ملوك آل ساسان الا اللهو واللعب كان اغلب احواله عليه
ومن اخلاق الملك السعيد البحث عن سرائر خاصته وحاشيته
واذكاء العيون عليهم خاصة وعلى الرعية عامة وانما سمي الملك راعيا
ليتفحص عن دقائق امور رعيته وخبر نياتهم ومتى غفل الملك عن
تفحص اسرار رعيته والبحث عن اخبارها فليس له من اسم الراعي
ولا رسمه ومن الملك الا ذكره فاما الملك السعيد فمن اخلاقه
البحث عن كل خفي ودقيق حتى يعرفه معرفة تقنيه والا يكون شيء
اهم ولا اكبر في سياسته ونظام ملكه من التفحص عما قدمنا ذكره ولم
ير ملك قط كان اعجب من هذا الجنس امرا من اردشير يقال انه كان يصبح
فيعلم كل شيء بان علمه من كان في قصبة دار مملكته من خير او شر

وبقي فيعلم كل شيء اصبحوا عليه فكان متى شاء قال لاوضيهم وارفعهم
كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت ثم يحدثه بكل ما كان فيه الى ان اصبح
فيقال ان بعضهم كان يقول كان يابه من السماء فيخبره وما كان ذلك
الا ليتيقظه ويكرم تعهده امر رعيته ثم كان فيمن نازعته
من اهل مملكته على مثل هذه الحال فيقال ان الامم كلها اولها
وآخرها وقديمها وحديثها لم يخف احد ملكها خوفها اردشير من ملوك
الاعاجم ومن كان قبلهم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه من خلفاء الاسلام
فان عمر كان علمه ممن يأتي من عماله ورعيته كعلمه ممن بات معه في مهاد وعلى
وساد واحد فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا ناحية من النواحي عامل
ولا امير جيش الا وعليه له عين لا يفارقه ما وجد فكانت الفاظ من
بالمشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح وانت ترى ذلك في
كتبه الى عماله وعمالهم حتى ان كان العامل منهم ليتهم اقرب الخلق اليه
واخصهم به فساس الرعية سياسة اردشير في التفحص عن اسرارها خاصة

ثم اقتفى معوية اثره وفعله فانتظم له امره وطالت له مدته
وكذا كان زياد بن ابيه يحتذى فعل معوية كما حتذا معوية فعل عمر
وفيما يذكر عنه ان رجلا كلمه في حاجة له فتعرف اليه وهو يظن انه
لا يعرفه فقال اصلح الله الامير انا فلان بن فلان فتبسم وقال تعرف
الي وانا اعرف بك منك بابيك والله اني لاعرفك واعرف اباك وجدك
وجدتك واعرف هذا البرح الذي عليك وهو لفلان بن فلان فبهت
الرجل وارعب حتى ازعد وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان والحجاج
ابن يوسف ثم لم يكن بعد هؤلاء احد في مثل هذه السياسة حتى ملك
المنصور فكان اكبر الامور عنده معرفة احوال الناس حتى عرف الولي
من العدو فساس الرعية وهو من معرفتها على مثل وضح النهار
ثم درست هذه السياسة حتى ملك الرشيد فكان اشد الناس بحثا عن
اسرار رعيته واكثرهم به عناية واحزمهم فيها امرا وعلى نحو هذا كان المامون
والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته في التمتماء واصحاب الحديث

وهو بالشام حصر فيها عن عسكره واحده عن حلمه وامور التي خفيت
اوكرها عن القريب والبعيد ثم ما علمنا ان احدا ممن كان دون
السلطان الاعظم في دهرنا هذا اشد بحثا عن الاسرار ولا اكرف
فحصا حتى بلغ هذا الجنس ولا اقصى حده وابعد مداه وجعله اكبر شغله
في ليله ونهاره من اسحق بن ابرهيم حدثني موسى بن صالح قال
علمته في امرأة من بعض اهلنا وسألته النظر اليها فقال عرفتها هذه المرأة
ومزحاتها ومن فعلها قال فوالله ان ذاك نصفها ونصف احوالها حتى بهت
وحدثني بعض من كان في ناحيته قال رفعت اليه اسماء اجراء ارزاقي
فقال كم عيالك فزدت في العدد فقال كذبت فبهت وقلت في نفسي
يا نفس من اين علم اني كذبت فاقمت سنة لا اجترئ على كلامه ثم رفعت اليه
رقعة اخرى في اجراء ارزاقي فقال كم عيالك قلت اربعة قال صدقت فوقع
في حاشيته يجرى على عياله وكذا ولولا ان يطول كتابنا في اسحق وذكره
لحكينا عنه اخبارا كثيرة وهي من هذا الجنس وفيما ذكرنا كفاية

ومن اخلاق الملك اذا اهمه امر جليل من فتق ثغر او قتل صاحب
جيش او ظهور عدو يدعو الى خلاف الملة او قوة مناوٍ ان يترك
ساعات لهوه وتجعلها وسائر الساعات في تدبير مكايد عدوه وتجهيز
جنوده وجيوشه وان يصرف في كل ذلك شغله واليه فكره وفراغه على مثل
ما من مضى من ملوك الاعاجم وغيرها فان جعل للتسويف والتمني وحسن الظن
بالايام نصيبا فان هذا عجز من الملك ووهن يدخل على الملك
وكانت ملوك الاعاجم اذا عرض لها مثل هذا امرت بالموائد التي كانت
توضع في كل يوم ان ترفع وظائفها واقتصرت على مائدة تقرب من الملك
ولحفرها ثلثة احدهم موبذان موبذ والربيد رأس الاساورة ولا
يوضع عليها الا الخبز والملح والبقل والخل فاكل منه شيئا هو ومن معه
ثم يأتيه الخباز بالبرنامورد في طبق فيأكل منه لقمة ثم ترفع المائدة
ويشاغل بتدبير حربه وتجهيز عسكره فلا يزال على هذه الحالة حتى يأتيه
عن ذلك العدو ما يرسه ومن ذلك العدو ما يحب فاذا اتاه امر باتخاذ

لطعامه الاول وامر الخاصة والعامة بحضوره وقامت الخطباء ثم
مدّ الناس ايديهم الى الاطعمة على مراتبهم فاذا فرغوا بسط للعامة
في ظهر الايوان وللخاصة في صحنه لحضرة الملك وقعد صاحب الشرطة
للعامة كقعود الملك للخاصة ثم دعي بالمغنين واصحاب الملاهي
وكانوا يقولون ان حق النعمة ان يرى اثرها وفيما يذكر عن معوية انه
قال ما ذقت ابا مرصفين لحما ولا شحما ولا حلوا ولا حامضا الا الخبز
والجبن وحرس الملح حتى كان من ادم ما كان وحكي عن عبد الملك
ان صاحب فريعته اهدى اليه جارية بامة المحاسن سمية المتأمل
قال فلما ان ادخلت عليه نظر اليها وفي يده قضيب وقال ردّيرفولت
فنظر اليها مقبلة ومدبرة فقال انت والله امنية المتمني قال فما تصنع
يا امير المؤمنين اذا كانت هذه صفتي عندك قال بيت قاله الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت باطهار

وكان هذا في خروج ابن الاشعث ثم امر بها ان تصان وتخدم فلما فتح عليه

حيزران فصعد بصره فيها وصوبه ثم رمى بالقضيب

كانت اوّل جارية دعاها وحكى عن مروان انّه قام ثلثين
شهرا لم يطأ جارية الى ان قتل وكان اذا استهديت له الجارية
قال اليك عنّي فوالله لا دنوت منك انثى ولا حللت لي عقدا وخراسان
ترجف بنصر وابو مخزوم قد اخذ منه بالمخنّق ومن اخلاق
الملوك المكايدة في حروبها ولذلك كان يقال قد ينبغي للملك السعيد ان يجعل
المحاربة آخر حيلة فانّ النفقة في كلّ شيء انّما هي من الاموال والنفقة
في الحروب انّما هي من الانفس فان كان للجيل محمود عاقبه فذاك بسعادة
الملك اذ رخ ماله وخفّ ماء جيوشه وان اعيت الحيل والمكايد
كانت المحاربة من ورآء ذلك فاسعد الملوك من غلب عدوّه
بالحيلة والمكر والخديعة وقد روينا عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما يحقّق
هذا ويؤكّده بقوله الحرب خدعة وليس لاحد من الخدع في الارض
ما للملوك الاعاجم والاخبار في ذلك كثيرة ولكنّا نقتصر من ذلك على حديث
او حديثين فمن ذلك ما يذكر عن بهرام جور لمّا ملك بعد ابيه يزدجرد

بلغه انّ ناحية من النواحي في اطرافه قد انتقضت وغلب عليها العدوّ
فاستخفّ بها واظهر الاستهانة بها حتّى قوي امر ذلك العدوّ واشتدّ
شوكته فكان اذا اخبر بحاله استخفّ بامره وصغّر شانه حتّى
قيل له انّه قد زحف لخوك ووجّه جيوشه الى قرار دارك فقال
دعوه فليس امره بشيء فلمّا راى ذلك وتها وندر اخيه على امره
عدوّه واستهانته اجتمعوا اليه فقالوا انّ تراخي الملك عن
عدوّه ليس من سياسة الملك ولا سير الملكة وقد قرب هذا العدوّ
من قرار دارك وامره في كلّ يوم في علوّ فقال بهرام دعوه
فانا اعلم بضعفه وصغر شانه منكم واقبل على اللهو وترك ما يجب
عليه من القصد لعدوّه والقصد له فلمّا دنا عدوّه منه واشرف عليه
وخاف الوزراء ورؤساء اهل المملكة اجتياحه اجتمعوا فتوامروا
بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه واعلامه على ما قد اشرفوا عليه
من البوار والهلكة وبلغه الخبر فامر بائتي جارية من جواريه فلبس الثياب

المصبغة المختلفة الالوان ووضعن على رؤسهن اكاليل الريحان وركبن
العقب وتقل بهرام كما تقلن وركب قصبته واذن للوزراء فدخلوا عليه فلما
راوه صاح بالجواري فحمرن تحخرن وبهرام خلفهن قد ركب القصبة ويغني
وهن يغنين ويضحكن ويلعبن فلما راى ذلك وزراؤه ايسوا منه
واجتمعوا على خلعه وبلغه الخبر فدعا جارية من خواص جواريه فقال لك الويل
ان علم احد من اهل المملكة ما اريد ان افعل ثم امرها ان تحلق راسه فحلقته ودعا
بمدرعة من صوف فتدرعها واخذ قوسه ونشابه وخرج في جوف الليل
وتقدم ان الجارية ان تخفي امره وتظهر انه عليل الى رجوعه اليها ومضى وحده
حتى انتهى الى طلائع العدو فكمن في مغار على ظهر الطريق فجعل لا يمر به
طائر في السماء ولا وحش في البر الا وضع سهمه منه حيث احب وجعل
يصيد كل شيء مر به ويجمعه حتى صار كالشيء العظيم قال فمر به صاحب
طليعة العدو فنظر الى امرأة فاعجبته فاخذها فقال ويلك ما انت ومن انت و
من اين انت فقال ان اعطيتني الامان اخبرتك قال فلك الامان قال انا غلام

لهايس وان مولاي غضب علي وكان الي محسنا فاوجعني ضربا ونزع ثيابي
وحلق رأسي والبسني هذه المدرعة واخاف علي واني طلبت غفلته فخرجت
لطلب شيء اصيده فآكله فلما اعجبني كرثة ما اصبت اردت ان ارمي بكل
ما معي من هذه السهام ثم انصرف قال فاخذه فحمله الى الملك واخبره بقصته
فقال له الملك ارم بين يدي فرمى بين يديه فكان سهمه في طائر ولا
يخرم الا حيث اراد فبهت الملك وطال تعجبه فقال له ويلك في هذه المملكة من
يرمي رميك فضحك بهرام وقال ايها الملك انا اخسهم واحقرهم امرا وعندي
خبر آخر فجاءه بها فاخذ ابرة فرمى بها على عشرة اذرع ثم اتبعها باخرى فشكها
ثم اتبعها باخرى فشكها حتى جعلها سلسلة قد تعلق بعضها ببعض فبهت الملك
وملئ رعبا فقال له ويلك ملكم هذا جاهل ما يعلم اني قد قربت منه فضحك بهرام
وقال ان اعطاني الملك الامان نصحته قال قد اعطيتك الامان قال انما ملكك
استهانته بامرك وعلما بانك لا تخرج من قبضته وذلك اني اخس من في دار
المملكة واخملهم ذكرا فاذا كنت انا بهذه الحال اقبل بالف سهم الف رجل

ورأى الشقاء قد قال وما موقال

فما ظنّك بالملك وله مائة الف عبد مثلي في قرارة ارضه فقال له الملك صدقتني فيما قلت ولقد
خبرت عن بهرام من تصغيرهم بشاني واستخفافه بامري ما يطابق خبرك وما تركني
ابلغ هذا الموضع من مملكه الا ما ذكرت فامر عظيم جيشه ان يرتحل من ساعته ونادى
بالرحيل مما يلوي على شيء وانطلق بهرام فانصرف بعد ثالثة حتى دخل داره ليلا
فلما اصبح قعد للناس ودخل عليه الوزراء والعظماء فقال ما عندكم من خبر عدونا فاخبروه
بانصرافه عنهم فقال قد كنت اقول لكم انه صغير الشان ضعيف المنة ولم يعلم احد منهم
ما كانت العلة في انصرافه وكان كسرى ابرويز بعد بهرام جور صاحب مكايد و
خدع في الحروب وكان قد وجّه شهريار لمحاربة ملك الروم وكان قد ماتت في
الرأي والنجدة والبسالة ويمن النقيبة فكان شهريار قد ضيق على ملك الروم قراره
واخذ بخنقه حتى هم بمهادنته ومل محاربته وطلب الكف عنه فاتى عليه شهريار و
استعد له ملك الروم بافضل عدة واتم آلة واحد شوكة وباهب القائه في البحر
فجاءه بما لا يحصى كثرة في البحر كلما احتاج اليه من مال وسلاح وكراع وآلة وطعام وغير
ذلك في السفن مشحونة موقرة فبينما هو كذلك اذ عصفت ريح في تلك الليالي فقلعت اوتاد

تلك السفن كلها وحملتها الى جانب شهريار فصارت في مملكه واصبح ملك الروم قد ذهب
ما كان يملك من الاموال والخزائن والسلاح فوجّه شهريار تلك الخزائن الى ابرويز
فلما رأى ابرويز ما وجّه كبر في عينه وعظم في قلبه وقال ما نفس احق بطيب الثناء ورفع
الدعاء والشكر على الفعل الظاهر من شهريار اذ جاء بما لا تسخو به النفوس ولا
يطيب بمثله القلوب فجمع وزراءه وامر بتلك الاموال فوضعت نصب عينه ثم قال
لوزرائه هل تعلمون احدا اعظم خطرا وامانة ولا احرى بالشكر من شهريار فقامت
الوزراء فتكلم كل واحد منهم بعد ان حمد الله واثنى عليه واثنى على الملك وهناه ثم ذكر
ما خصّ الله الملك من يمن نقيبة شهريار وعفافه ونبله وعظم غنا حتى اذا
فرغوا امر باحصاء تلك الاموال والخزائن ثم قام ابرويز فدخل الى نسائه وكان
للملك غلام يقال له رشنه كان سيّء الرأي في شهريار فقال ايها الملك لقد ملئ قلبك
كثير من قليل وصغير من كبير وقانه من عظيم جنابك فمه شهريار وآثرته نفسه ولئن
كان الملك مع رأيه الثاقب وحزمه الكامل يظن ان شهريار ادى اليه الامانة لقد بعد
ظنه من الحق فوقع في نفس ابرويز ما قال رشنه فقال له ما اظنك الا صادقا فالرأي

عندك قال تكتب اليه بالقدوم وتوهمه انّ بك حاجة الى مناظرته ومشاورته في امر
لم تخبر الكتاب به فانه اذا قدم لم تخلف ما يملك وراءه اذ كان لا يدري ايرجع الى هناك
ام لا فيكون كل ما تقدم به الى نصب عينك فكتب ابرويز الى شهريار يأمره بالقدوم عليه
لمشاورته ومناظرته في امر يدق عن الكتاب والمراسلة فلما مضى الرسول اردفه برسول
آخر وكتب اليه اني كتبت اليك امرك بالقدوم لاناظرك في مهم من امري ثم علمت انّ مقامك
هناك اقدح في عدوك وانكى له واصلح للملك واوفر في المملكة فاقم وكن من عدوك على حذر
ومن غيرته على سقط فان من ذهب ماله حمل نفسه على التلف والسلام ثم قال للرسول
الثاني ان قدمت عليه فرأيته قد تأهب للخروج اليّ وظهر ذلك في عسكره فادفع اليه هذا الكتاب
وكتب اما بعد فاني كتبت اليك وقد استبطأت جواب قدومك وحركتك وعلمت انّ ذلك
لامر تصلحه من امر نفسك او مكيد عدوك فاذا اتاك كتابي هذا فاخلف اخاك على عملك واغذ
السير ولا تعرج على مهم ولا عزم والسلام وان لم تره استعدّ للخروج ولا تأهب له فادفع اليه
الكتاب الاول فقدوم الرسول الثاني وليس لشهريار في الخروج عزم ولا خاطر ولا هم به فدفع
الكتاب الاول اليه فقال شهريار ان اول كل حيلة حيلة وكان خليفة شهريار رسل الملك قد كتب

اليه بما كان من قتول رسله للملك وما كان من جواب الملك اياه ثم نازعت ابرويز نفسه ودعاه
سرّه الى اعادة الكتاب الى شهريار بالقدوم عليه فلما قرأ كتابه الثالث قال لئن كان الامر قبل
اليوم باطنا فقد ظهر اليوم فلما علم ابرويز نيته شهريار قد فسدت وانه لا يقدم عليه كتب الى
اخي شهريار يقول اني قد وليتك امر ذلك الجيش ومحاربة ملك الروم فان سلم لك شهريار ما
وليتك والا فاخبره فلما اتى اخاه كتابه اظهر وبعث الى شهريار تخبره انّ الملك قد ولاه
موضعه وامره بمحاربته ان ابى ان يسلم اليه ما ولاه فقال له شهريار انا اعلم بابرويز منك
وهو رجل صاحب مكايد وحيل وقد فسدت نيته الى ذلك فان قتلني اليوم قتلك غدا وان
قتلك اليوم كان على قتالي غدا اقوى ثم ان شهريار صالح ملك الروم لما خان ابرويز
وتوثق كل واحد منهما من صاحبه واجمعا على محاربة ابرويز فقال له شهريار دعني اتولى
محاربته فاني ابصر بمكايده وعوراته فابى ذلك ملك الروم وقال بل اقم في دار ملكي حتى
اتولى انا محاربته فقال شهريار اما اذا ابيت علي فاني مصور لك صورة فاعمل بما فيها
واستدلها ثم صوّر له كل منزل بينه وبين ابرويز في طريقه واي المنازل ينبغي له ان يقيم فيه وايها
يجعلها طريقا وسيرا ماضيا حتى اذا اقام من طريقه كله على مثل وضح النهار قال له فاذا صرت

يا نهروان فاقم دونه ولا تقطعه واجعله منزلك وخندق جيوشك في عساكرك اليه

فمضى ملك الروم نحوه وبلغ ابرويز الخبر فضاق به ذرعه وكان اكثر جنوده قد

تفرقوا في طلب المعاش لعظم عنهم ما كان يجبلهم من ارزاقهم فبقي في جند اكرهم كالميت

هزلا وضرا وكان ملك الروم يعمل على ما صوّر له شهريار في طريقه كله حتى اذا اشرف

على النهروان عسكر هناك واستعد للقاء ابرويز وقد بلغه تفرق جنوده وسوء حال

من بقي معه وكان في اربع مائة الف وتضاف بهم الفجاج والمسالك فطمع في قتل ابرويز

ولم يشك في الظفر به فدعا ابرويز رجلا من النصارى كان خدمه فدانعم على احد النصارى

واستنقذه من القتل ايام قتل مانيّ وكان من اصحابه الذين استجابوا له فقال له ابرويز

قد علمت ما تقدم من ايادينا عندكم اهل البيت قديما وحديثا فآل اجل اليها الملك

واني لسائلك ذلك ولا بأس ان فخذ هذه العصا فامض بها الى شهريار فانه في قرار

ملك الروم فارفعها من يدك الى يده وعد الى عصا معقوبة فادخل كتابا صغيرا

منه الى شهريار اما بعد فاني كتبت اليك صدرا واستودعته العصا فاذا جاءك

فخرق دار مملكة الروم واقتل المقاتلة واسبِ الذرية ولا تتركن عينا تطرق واعلم اني

ملك الروم في يوم كذا وكذا فليكن هذا وقتك الذي تعمل فيه ما امرتك وامر النصراني

بمال وقال لا تقيمن يوما واحدا واياك ثم اياك ان تدفع العصا الى شهريار ثم ودعه

ومضى فلما عبر النهروان واتى الى حيث كان وقف جنوده مع وقت ضرب النواقيس

فسمع وقع النواقيس فلما سمع اهملت عيناه وقال بئس الرجل انا اعنت على دين

النصرانية واطعت امر هذا الجبار فاتى باب ملك الروم فاستاذن عليه

فاخرج بقصة ابرويز حرفا حرفا ثم دفع اليه العصا فاخذها ونظر فيها ثم

استخرج الكتاب فقرئ عليه فتخرق وقال خدعني شهريار ولئن وقعت

عيناي عليه لاقتلنه وامر فقوضت ابنيته من ساعته ونادى في الناس

بالرحيل ووجه ابرويز عينا له يجيء بخبره فانصرف اليه فاخبره انه قد مضى

لا يلتفت لفته فضحك ابرويز وقال لكل كلمة واحرة هرب اربع مائة الف

بجليل قدرها وبديع ذكرها وقد انتهينا الى هذا الموضع من

كتابنا هذا واخبرنا باخلاق الملوك وما يجب على رعاياها

لها بقدر وسعنا فلنختم كتابنا هذا بذكر من بعثنا على نظمه وكان

مفتاحا لتأليفه وجمعه ولنقل انا لم نر في صدر هذه الدوله المباركه
العباسيه ولا في تاريخها واياما الى هذه الغايه فتى
اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها
فحاز الولاء من هاشم والخصصاء من خلفاء بني العباس
والنقباء من المعتصم بالله امير المؤمنين وورثته
خاتم النبيين العدل الامير الفتح بن خاقان
مولى امير المؤمنين فليهنه هذه النعمه
المهداة وبارك له واهبها اليها
الذاب منها حتى يبلغه
ذروتها
ارفع بقاعها واسنى
واعلى درجاتها في طول
من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره انه جواد كريم
تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب
والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على
محمد وآله اجمعين

وكان في المنقول عنها سقاط